مايو ٢٠٢٢
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدّام
مــــــــرقس

أيقونة القيامة

يُرى فيها المسيح جاذبًا بيديه آدم وحواء إشارة إلى أن قيامته لم تكن حدثًا فرديًا بل كانت لإقامة البشرية معه.
ويُرى عن يمينه وعن يساره الملوك والأنبياء من أبرار العهد القديم الذين أقامهم معه.
وحول رأسه هالة تحمل الثلاثة حروف O ω N التي هي اسم الله «الكائن» الذي أُعلن لموسى،
إشارة إلى أنه قام بقوة لاهوته، ولكنه محتفظ في يديه ورجليه بجروح المسامير فهو الخروف القائم كأنه مذبوح (رؤ٥: ٦).
وتحت قدميه تُرى ضلفتان تمثلان مصاريع الجحيم التي حطَّمها (إش٤٥: ٢)،
وتحتها في الجحيم المظلم أشلاء السلاسل ومغاليق الحديد التي كسرها.
وفي وسط الجحيم يُرى الموت مقيَّدًا كما نقول في لحن القيامة إنه «بالموت داس الموت».
ويحيط بالمسيح نور أزرق من العالم الآخر، نور الخليقة الجديدة، ويلاحظ أنه على ثلاثة ألوان متفاوتة،
أشدهم زرقةً هو الملاصق لجسد المسيح إشارة إلى أنه هو مصدر الخليقة الجديدة التي تمتد منه إلى سائر الكون.
والأيقونة محفوظة في كنيسة المخلص في حي خورا بمدينة القسطنطينية (إسطمبول بتركيا).

ST. MARK
May 2022
Monthly Review

St Mark the Evangelist

(Thirteenth Century Icon in the Monastery of St Macarius)

"You have come and enlightened us through your Gospel,
and taught us the Father and the Son and the Holy Spirit.
You brought us out of darkness into the true Light,
feeding us the Bread of Life that came down from heaven".
(Doxology for St Mark the Evangelist.)
His martyrdom is celebrated on Barmudah 30th = May 8th.

« الإينرجيا الإلهية »[1]

«مَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ،
حَسَبَ عَمَلِ (إينرجيا ἐνέργειαν) شِدَّةِ قُوَّتِهِ.
الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أف ١: ١٩، ٢٠)

هيروشيما:

في السادس من أغسطس عام ١٩٤٥، وقُبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية، سقطت من سماء هيروشيما – في اليابان – قنبلة، ليست كأية قنبلة أخرى. كانت القنبلة مصممة على يد نُخبة من أبرع علماء العالم وقتئذ، وكان اتخاذ القرار باستخدامها أحد أخطر القرارات في التاريخ. أُبيدت مدينة هيروشيما بالكامل في ثوانٍ معدودةٍ، وكانت إشارةَ البدءِ لفصلٍ جديدٍ في تاريخ البشرية. كَسَرَتْ القنبلةُ عناد اليابانيين الانتحاريين. وكانت سببًا رئيسيًّا في إسدال الستار على الحرب سريعا، ولكن بقي هذا الحادث كوصمة في ضمير البشرية، وتكراره مع التقدُّم العلمي يُعتبر تهديدًا خطيرًا بإفناء البشرية قاطبةً من على كوكب الأرض!!

انفجرت القنبلة وأطلقت كمية هائلة من الطاقة، كان هناك وميضٌ لامعٌ جدًّا لم يستمر إلَّا لثوانٍ معدودة، ثم اتَّخذ شكل كرةٍ عملاقةٍ بعرضِ ٣٠٠ متر تقريبًا. كانت درجةُ الحرارة تحت الكرة النارية ٤ آلاف درجة مئوية تقريبًا، وتركت موجات الحرارة ظلالاً لما يصادفها – كالسكة الحديد والسلالم وحتى البشر – على الحجارة والمعادن هناك. كل ما كان في محيط الكرة إما تعرض للتبخر أو تحوَّل لمادة الكربون في لحظة.

في نفس الوقت أصدر الوميض موجات قوية جدًّا من أشعة جاما والأشعة تحت الحمراء، وكان بإمكان تلك الإشعاعات اختراق الجدران ومهاجمة خلايا الجسم البشري،

(١) هذا المقال يهدف إلى أن يستشعر القارئ مقدار قوة القيامة اللانهائية، التي تفوق بلا قياس أعظم الانفجارات التي حدثت في تاريخ البشرية.

ومعظم الذين رأوا الوميض وكرة النار لقوْا حتفَهم. ثم بعد ذلك بجزء من الثانية جاءت موجات الانفجار الاهتزازية، والتي تحركت بسرعة الصوت، وحوَّلت تلك الموجات كلَّ نافذةٍ وجدارٍ إلى مجرد شظايا. انتشر حزامٌ من الغيوم السوداء كالنافورة بين الجبال وتقدم في دورانه ملتفًّا ليقذف بعيدًا كلَّ ما يقف أمامه .لا توجد إحصائيات محددة بعدد الذين قُتِلوا فورَ حدوث الانفجار. لكن عشرات الآلاف من السكان في المنطقة المكشوفة بالقرب من الكرة النارية اختفوا في جزء من الثانية.

بالنسبة للناجين كانت المحنة قد ابتدأت، فآلاف البشر جُرحوا وتعرَّضوا لحروق رهيبة، فاللهيب أحاط بهم والحرارة استعرت تحت أقدامهم، والعديد منهم صار محاصرًا تحت الأنقاض. كانت المدينةُ كلُّها مظلمةً ويلُفُّها الدخانُ، والشوارع مكتظة بالجثث. اختفت هيروشيما تمامًا وتفحمت الناسُ. حاول الناس بيأس الحصول على الماء، ففروا نحو الأنهار والبرك والخزانات. ثم بدأت قطراتٌ من الأمطار الداكنة في الهطول من السحاب فوق المدينة المتفحمة. شرب المصابون من ذلك المطر الأسود من جراء الرماد والدخان، فقد كانت حناجرهم متحجرة، ولكن ما لم يدركه الناس أن المطر كان ذا مستوى إشعاعي مرتفع وهو الذي سيتسبب في تسمم الآلاف منهم. ماتت كلُّ كرات الدم البيضاء في دمائهم وحدثت لهم سيولة غير طبيعية في الدم، وتساقط شعرهم، ومن ثَمَّ لم تكن لديهم أية قدرة لمحاربة المرض. أصبح المرض الإشعاعي هو أحد أكثر الأشياء المزعجة من جراء القنبلة. وبقيت كارثة هيروشيما إحدى أشد الكوارث في تاريخ البشرية قاطبةً.

الانفجار العظيم Big Bang

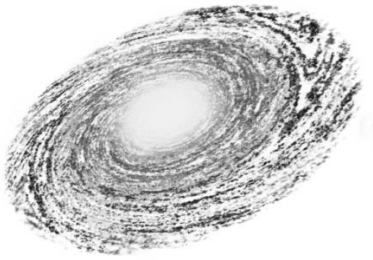

ولكني لست هنا لأستعرض على القارئ مجرَّد معلوماتٍ، ولا لأقُصَّ عليه تاريخًا لا لحربٍ ولا لقنبلةٍ ولا لمدينةٍ. ولا لنبكي قتلى هيروشيما، ولا لنقيم عليها مرثاةًكمرثاة إرميا في يوم أورشليم. ولكن أريدك أيها الحبيب أن تستشعر كمية الطاقة التي لا توصف التي انفجرت يوم ذلك الدمار الرهيب.

وائْذِن لي أيها القارئ العزيز أن آخذك لرحلة أخرى أعمق، أعمق من جهة التاريخ، وأعظم بما لا يقاس من جهة الطاقة المتولدة. إنها الرحلة التي تدعمها أرجح النظريات العلمية[٢] التي تتحدث عن نشأة الكون، نظرية الانفجار العظيم، المعروفة باسم The Big Bang Theory.

النظرية تقول إن الكون في البداءة نشأ كنقطة متناهية في الصغر ومتناهية في الكثافة[٣]، وهذه النقطة انفجرت وتوسعت وكوَّنت كل الكون الحالي المتناهي في الاتساع. ورغم أن الكلام يبدو ضربًا من ضروب الخيال، إلا أن النظرية لها شواهد كثيرة تثبتها، مما جعلها من أرجح النظريات التي تفسر نشأة الكون. وصارت سلاحًا مضادًا للاعتقاد السائد بأزلية الكون ولا نهائيته.

إدوين هابل Edwin Hubble (١٨٨٩-١٩٥٣)، العالم المشهور، اكتشف أن المجرات تسير بعيدًا عن بعضها بسرعة تتزايد بمعدل ثابت كلما ازدادت المسافة بينها. وهذا المعدَّل سُمّيَ بثابت هابل، وأثبت العلماء أن المجرات لا تتحرك ولكن الكون هو الذي يتوسع ويتمدد[٤] بمرور الزمن[٥]. وبأثر رجعي احتسبوا عمر الكون والذي قُدِّرَ ب ١٣.٤ مليار سنة.

معروف من معادلة النسبية العامة $E=mc^2$ ، حيث E هي الطاقة وm هي الكتلة وc^2 هي مربع سرعة الضوء، والتي تعتبر أشهر معادلة في الفيزياء الحديثة، أن الطاقة والكتلة وجهان لعملة واحدة، ويمكن أن تتحوَّل الواحدة إلى الأخرى.

قبل انفجار الكون لم يكن هناك وجود لا للزمان ولا للمكان ولا للمادة، بل كان الكون

---

(٢) ومع ذلك مازالت هذه النظرية هي مجرد نظرية، فليست هناك حقيقة مطلقة تُثبِت كيف تكوَّن الكون.

(٣) أثبت العالمان الأب Georges Lemaître الراهب البلجيكي والعالم Alexander Friedmann الروسي، كلٌّ من جهته، أن الكون ليس ثابتًا في حجمه، وإنما يتوسع في امتداد مستمر، وهذا معناه أنه كلما رجعنا بالزمن للوراء نصل للمرحلة التي كان فيها الكون في حجم نقطة متناهية في الصغر.

(٤) استطاع العلماء بالحسابات الفيزيائية أن يثبتوا أن الكون تمدد منذ نشأته حتى الأن $1.5x10^{12}$ مرة أي 1.5 تريليون مرة.

(٥) شبَّهَ العلماءُ الكونَ ببالون مرسومٌ عليها مجموعة من النقاط، والتي تتباعد عن بعضها كلما نفخت البالون. ومع أن النقاط لا تتحرك على سطح البالون، إلا أن المسافة بينهم تتوسع كلما نفخت البالون.

عبارة عن طاقة هائلة،[٦] طاقة تفوق كل الطاقة الموجودة وكل المادة الموجودة بالكون، قدرها العلماء ب Gev 10^{19}[٧] وهي أكبر طاقة معروفة، فيما كانت درجة الحرارة $1.8x10^{32}$ كلفن. لما انفجر الكون لم يكوِّن فقط المجرات والنجوم والكواكب والمادة بكل ما نراه ولا نراه، بل كوَّن الزمان والمكان نفسيهما، واللذَيْن هما نسيجٌ مطاطيٌّ واحدٌ. ومع ذلك، تمَّ معظم هذا الانفجار العظيم في أقل من ثانية واحدة. وبالطبع لم يكن لهذا الانفجار أي صوت لأنه لم يكن هناك وجود للموجات الصوتية. ويبقى الانفجار العظيم فريدًا، لا يمكننا مقارنته بانفجار هيروشيما ولا بانفجار مفاعل تشرنوبل ولا بقنبلة القيصر[٨] ولا حتى بانفجار النجوم المعروفة بالسوبر نوفا Supernova.[٩]

القيامة:

ولأن أمور الله غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات، أي قدرته السرمدية ولاهوته[١٠]، فإذا نظرنا لقيامة المسيح في ضوء ما ذكرناه عن الانفجار العظيم نجد أنه كما كان الانفجار العظيم هو بداية تكوين الخليقة الأولي، كذلك أطلق الله مشروعًا عظيمًا بقيامة المسيح، ألا وهو الخليقة الجديدة: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ» (١بط ١: ٣-٤) والتركيز هنا

---

(٦) في رأينا أن هذه الطاقة - والتي هي النواة الأولى لنشأة الكون- هي التي يعبر عنها الكتاب بقوله: «وقال اللهُ ليكن نورٌ فكان نورٌ» (تك ١: ٣).

(٧) أي رقم ١٠ أمامه ١٩ صفر = ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠جيجا إلكترون فولت.

(٨) قنبلة القيصر Tsar Bomba هي قنبلة هيدروجينية تؤدي إلى توليد طاقة تدميرية هائلة تساوي ٥٨ مليون طن من مادة TNT أطلقتها روسيا عام ١٩٦١. وهي أقوى من قنبلة هيروشيما ما يقرب من ٤٠٠٠ مرة.

(٩) هو حدث فلكي يحدث خلال المراحل التطورية الأخيرة لحياة نجم ضخم، حيث يحدث انفجار نجمي هائل يقذف فيهِ النجم بغلافهِ في الفضاء عند نهاية عمره، ويؤدي ذلك إلى تكون سحابة كروية حول النجم، وبراقة للغاية (شديدة البريق) من البلازما، وسرعان ما تنتشر طاقة الانفجار في الفضاء وتتحول إلى أجسام غير مرئية في غضون أسابيع أو أشهر، ووصفت وكالة ناسا السوبرنوفا بأنها أكبر انفجار يحدث في الفضاء.

(١٠) راجع: رو ١ :٢٠.

على كلمة «وَلَدَنَا ثَانِيَةً» فنحن هنا أمام خليقة جديدة مولودة جديدًا بقيامة يسوع المسيح. والقيامة هنا ليست مجرد استعادة للحياة التي سبقت الموت، ولكنها نمط جديد من الحياة الفائقة، يتم فيه استعلان لغنى نعمة الله، «لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢: ٧).

المسيح، في أيام جسده، كان حاملاً في ذاته كل طاقة الله - إن جاز هذا التعبير - أو بأُسلوب آخر نقول: إن الله قرر أن يَحُلَّ بكلِّ لاهوته وجلاله وطاقته في شخص يسوع المسيح منذ قبول العذراء لسر التجسد، «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحُلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» (كو ٢: ٩)، «فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحُلَّ كُلُّ الْمِلْءِ» (كو ١: ١٩). هذه الطاقة الإلهية (الإينرجيا الإلهية) التي كانت مخفية في جسد يسوع منذ يوم البشارة استُعلنت علنًا يوم أحد القيامة لتُكوِّن الخليقة الجديدة، وهذا ما يردده سفر الرؤيا: «وَقَال الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: "هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!" ... ثُمَّ قَالَ لِي: "قَدْ تَمَّ"» (رؤ ٢١: ٥، ٦). لذا لا نتعجب عندما نسمع أن الكتاب يتحدث عن سماوات جديدة وأرض جديدة ومدينة جديدة وهيكل جديد وعهد جديد واسم جديد...إلخ. ففكر الله من نحو الخليقة الجديدة لا يقتصر على الإنسان فقط بل يمتد ليشمل كل شيء، لأن الله قصد «أَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» (كو ١: ٢٠). «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو ٥: ١٧). «لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رو ٨: ١٩-٢٣).

فالله لم يُفنِ الخليقة القديمة بل أنتج وصاغ منها خليقة جديدة، وهذه الخليقة الجديدة رأينا باكورتها في يسوع المسيح عندما قام من الموت. فهو رأس الخليقة الجديدة وبداءتها وبكرها «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ

سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ. وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (كو ١ :١٤-١٨). ويصفه يوحنا في رؤياه بأنه «بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ» (رؤ ٣: ١٤).

وكما حدث الانفجار العظيم في سكونٍ فريد،[١١] كذلك صارت قيامة المسيح في فجر الأحد في سكونٍ تعجب له كل من سمع، فظهر يسوعُ ليس لجميع الشعب، كما استُعلِنَ في يوم صلبه، بل لشهوده الأمناء الذين أكل وشرب معهم بعد قيامته.[١٢]

فإن كان الانفجار العظيم كوَّن كلَّ هذا العالَم المادي المتناهي في الاتساع، فكم بالأحرى تكون قيمة واتساع العالَم الروحي الذي تكوَّن لما استُعلنت طاقة الله بقيامة يسوع المسيح من الموت. وإن كانت الخلقة القديمة – على الرغم من سقوطها – رائعة بهذا القدر «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١: ٣١). فكم وكم يكون جمالُ الخليقة الجديدة في المسيح وجلالُها وروعتها.

لكن أكثر ما يُميِّز الخليقة الجديدة عن الخليقة العتيقة هو أن الله سيكون فيها الكل في الكل. «وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ لِلهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ. لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. وَلكِنْ حِينَمَا يَقُولُ : «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ» فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»[١٣] (١كو ١٥: ٢٤-٢٨).

---

(١١) سبق أن قلنا إن الانفجار حدث قبل وجود الزمان والمكان، وبالتالي قبل وجود الوسط الهوائي الذي تنتقل من خلاله الموجات الصوتية.

(١٢) راجع: أع ١٠: ٤٠، ٤١.

(١٣) للقديس غريغوريوس النيسي مقال كامل بعنوان "حينئذ الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل"، حيث يشرح هذه الآية على أنها تشير إلى خضوع المسيح بكامل كيانه، أي كرأس (المسيح) وجسد (الكنيسة) فيقول: [إنه هنا يشير إلى خضوع جسده (أي الكنيسة) للآب] وحينئذ ستخضع الكنيسة بكل أعضائها لله، فيكون الله الكل في الكل. وقد تُرجم هذا المقال للغة العربية بواسطة د. سعيد حكيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، نصوص آبائية . ٨٩، يونيو ٢٠٠٥.

ستزول أحزانُنا وضيقاتُنا وسينتهي الشرُ عندما يكون اللهُ الكلَّ في الكلِّ. ويبقى السؤال هل الله ليس إلى الآن الكلَّ في الكلِّ ؟ رغم أن الله يسود على الكلِّ، أقول باستحياءٍ: نعم، لأنه توجد حتى الآن كائنات ترفض سيادة واستعلان مجد الله فيها. لذا ما تتميَّز به الخليقة الجديدة عند اكتمال استعلانها أن الله سيكون فيها الكلَّ في الكلِّ. أي أن مجد الله سيُستعلن في كل خليقته، وسيُعطى لكل كائنٍ أن يعكس صورة مجد الله.

كيف سيكون الله الكلَّ في الكل؟ في التجسد قرر الله أن يَحُلَّ بكل لاهوته في المسيح، وبقيامة المسيح قرر الله أن يواصل حلوله في الإنسان، وقد صار الإنسان هنا إنسانًا جديدًا يتكون من رأسٍ (المسيح)[١٤] وجسدٍ (الكنيسة)[١٥]. فكما حلَّ اللهُ بكل ملئهِ في يسوع المسيح عند مجيئه (بالتجسد) في الخليقة الأولى، يحل كذلك بكلِّ ملئه في المسيح والكنيسة – أعني الإنسان الجديد – في الخليقة الجديدة. وكما فعل الرب يسوع إذ استعلن لنا الله بكل جماله، سيفعل الإنسان الجديد – المسيح والكنيسة – نفس الفعل الذي فعله الرب يسوع في الخليقة الأولى «تَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ» (أف ٣: ١٩). هنا يقرر بولس الرسول أنه أصبح لنا نصيب في ملء الله! ولمن يسأل كيف؟ يُكمِّل بولس فيقول: «وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا» (أف ٣: ٢٠و٢١). فهو ليس القادر أن يفعل فقط كل شيء، بل فوق كل شيء، وليس فقط أكثر مما نطلب، بل أكثر جدًّا، وليس أكثر جدًّا مما نطلب فقط بل مما نطلب أو نفتكر. هذا هو دور الروح القدس أنه يأخذ مما للمسيح ويعطينا.

(يتبع)

---

(١٤) يقول العالم لايتفوت إن المسيح هو رأس الجسد لأنه هو الملهم والمهيمن والمرشد والمؤالف والمعزز بالقوة والعامل الرئيسي لنشاط الجسد وهو مركز وحدته وموضع حياته.

Lightfoot، J. B. *St. Paul's Epistles to the Colossians and to Philemon*، London: Macmillan، 1875. Especially pages 223, 264–67, and 323–39. Cited by Markus Barth, *Ephesians: Introduction, Translation, and Commentary on Chapters 1-3*, 190 (New Haven; London: Yale University Press، 2008).

(١٥) هذا الاتحاد بين المسيح وبيننا هو برهان وثمرة مباشرة لقيامة المسيح من بين الأموات التي أكملها في جسم بشريته لحسابنا. (كتاب ق. أثناسيوس الرسولي للأب متى المسكين، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠١٤، ص ٥١٥).

الإفخارستيا سر الوحدة
سر الجماعة المجتمعة

❁ ❁ ❁

إن الكنيسة التي أسَّسها الرب يسوع المسيح يوم خميس العهد في العشاء السري الأخير تحقَّقت واستُعلنت في يوم الخمسين أي العنصرة، وأيضًا عندما اجتمع الرسل معًا ἐπὶ τὸ αὐτό (أي حول نفس الشيء وبفكرٍ واحدٍ) وأقاموا أول إفخارستيا. هذه الجماعة الصغيرة قد صارت هي شعب الله الذي أقامه الرب لنفسه في العهد الجديد، وقد جمعهُ في "جسده الواحد". هذه هي الكنيسة التي صارت تُستعلن بوضوح في سر[١] الشكر (الإفخارستيا) أو كما لُقِّب في القرن الرابع وما بعده "سر الاجتماع" μυστήριον συνάξεως أي سر الجماعة الملتئمة[٢].

لذا فسِرُّ الإفخارستيا أو "سرَّ الجماعة" يأخذ موقعًا محوريًّا في الكنيسة، بل هو المركز الذي يتوق إليه الكل بل يتحد به الكل بعضهم ببعض وبالرأس (المسيح). إن موضوع سر الإفخارستيا واسع جدًّا، ولكننا في هذا البحث سنُحدَّ أنفسنا بتساؤل واحد ألا وهو: هل الممارسة والاشتراك في سر الإفخارستيا هو عمل فردي يتعلق بالعلاقة الفردية بين المؤمن

---

(١) كلمة μυστήριον اليونانية تُعبِّر عن المعنى الدقيق المقصود من كلمة "سر" وهي تعني "الشيء المخفي أو المستور" أي الذي لا يمكن للإنسان أن يدركه من ذاته وحده. فعندما يستأمن الله قديسيه ليُعرِّفَهم ويُعلنَ لهم أسراره، يظل هذا الإعلان إعلانًا قلبيًّا داخليًّا يحسُّه القلب، وبالكاد يستوعبه العقل استيعابًا جزئيًّا غير كلي. انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص٣١٥. وأيضًا: الأب متى المسكين، الإفخارستيا عشاء الرب ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠، ص ٣٥.

(٢) كلمة σύναξις (الاجتماع) كانت هي التسمية المفضَّلة للقداس لدى القديس أثناسيوس، فمثلًا يقول [كنَّا مجتمعين في السهر الليلي استعدادًا لإقامة σύναξις (أي قداسًا) في الصباح] (يكرر هذه القصة بنفس التعبيرات في ثلاثة من كتبه: الدفاع إلى قسطنطيوس ٢٥، الدفاع عن هروبه ٢٤، تاريخ الأريوسيين ٨١). والعصور التالية أخذت من القديس أثناسيوس هذه التسمية وأضافت لها كلمة "سر" فصارت "**سر الاجتماع**" μυστήριον συνάξεως كما نجدها مثلًا في نهاية القرن الخامس في الكتابات المنسوبة إلى ديونيسيوس (الرتب الكنسية ٣: ٢). ويلاحظ أن الكنيسة القبطية محتفظة حتى الآن بهذه التسمية الموروثة من القديس أثناسيوس، فنجد في كتب القطمارس عنوان **Cynaxic** يتصدَّر قراءات القداس تميزًا لها عن بقية القراءات.

والرب فقط، أم هي علاقة جماعية بين أعضاء الجسد والرأس (المسيح) وبين بعضهم البعض؟ البحث سوف يسرد بعض الأدلة الكتابية ثم أقوال الآباء التي تساعد على الإجابة على هذا التساؤل، وأخيرًا أمثلة من صلوات القداس تبيِّن كيف نعيش هذه الحقيقة عمليًّا:

في العهد القديم

من أوضح الصور النبوية في العهد القديم لسر الإفخارستيا هو طقس الاجتماع لأكل خروف الفصح المذكور في سفر الخروج ١٢:

❖ «هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. تُحْفَظُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَجْيَالِهِمْ ... **فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ**» (خر ١٢: ٤٢ – ٤٦).

والمقصود هنا من كلمة "بيت" هو بيت يضمُّ عائلةً كبيرة مكوَّنة من الأب والأم والأولاد وزوجاتهم مع أطفالهم فالمقصود ليس أسرة صغيرة بل عائلة كبيرة متفرعة، وحتى الآن يحتفل الشعب اليهودي هكذا بنفس الأسلوب عندما يجتمعون معًا ليُقيموا الفصح (اليهودي) يوم ١٤ نيسان.

❖ «وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْوًا لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ» (خر ١٢: ٤).

لقد كان الرب منذ القديم حريصًا على أن يوصي بالاجتماع معًا لإقامة هذا الطقس، ولولا أنهم كانوا في أرض العبودية لطلب منهم أن يُقيموا هذا الطقس بطريقة جماعية للشعب كله. فأعضاء البيت الواحد يلتفُّون كلهم معًا أو مع جيرانهم حول الخروف المذبوح لكي يُتمِّموا الطقس معًا. وليست مصادفةً أبدًا أن يختار الرب في العهد الجديد لتأسيس سر الجماعة (الإفخارستيا) نفس يوم إتمام الفصح، فقد قال الرب قبل تأسيس السر «شهوةً اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو ٢٢: ١٥)، ثم أسَّس سر الإفخارستيا لكي يؤكد على الاتصال الوثيق بين الرمز (أكل خروف الفصح) وبين المرموز إليه (المسيح نفسه وأكل جسده في الإفخارستيا). فلمَّا جَمَع الرب يسوع التلاميذ الذين هم من بيوت مختلفة وأسباط مختلفة لكي يشتركوا معًا في إفخارستيا الرب الواحدة، كان هذا إشارة واضحة لبدء زمن انجماع كل شيء، بحسب إرادة الرب التي عبَّر

عنها قائلًا «كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا» (مت ٢٣: ٣٧) بل والتي كان يحفظها في ذاته من قبل تأسيس العالم «إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، **لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ**، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ» (أف ١: ١٠).

صورة أخرى للاجتماع معًا في العهد القديم لغرض تعبدي، نجدها في جمع الشعب كله لغرض العبادة سواء كان للتوبة الجماعية في أزمنة المصاعب كما في سفر يوئيل: «اِجْمَعُوا الشَّعْبَ. قَدِّسُوا الْجَمَاعَةَ. احْشُدُوا الشُّيُوخَ. اجْمَعُوا الأَطْفَالَ وَرَاضِعِي الثُّدِيِّ» (يؤ ٢: ١٦)، أو بصفة دورية للعبادة السنوية حيث يتكرر اصطلاح «محفل مقدس» κλητὴ ἁγία[٣]. وبصفة عامة يمكن أن يُقال إن العبادة والتسبيح في العهد القديم كانت تتسم بالصفة الشعبيَّة الجماعيَّة، ويتأكد ذلك من كثرة استعمال الفعل λειτουργέω (ليتورجيو) في مجال العبادة، الذي في أصل تكوينه يعني عملًا شعبيًّا[٤]. فقد ذُكر ٩٨ مرة بالعهد القديم مقابل ثلاث مرات بالعهد الجديد.

إنجيل يوحنا

يذكر لنا القديس يوحنا تعليقه الخاص على تآمر رئيس الكهنة لقتل الرب يسوع فيقول: «وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ **لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ**» (يو ١١: ٥٢). فإن كانت الإفخارستيا ذكرى عينية أي استحضارًا فعليًّا لذبيحة الرب على الصليب، فهي تحمل في صميم كيانها نفس غاية ذبيحة الصليب، أي «**أن يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد**»...

ثم أخيرًا يذكر لنا القديس يوحنا الصلاة التي صلاها الرب يسوع في يوحنا ١٧ بعد أن أسَّس الإفخارستيا ووزَّع جسدَه على تلاميذه: «**أَنَا فِيهِمْ** وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١٧: ٢٣)، وقد قال الرب «أَنَا فِيهِمْ» على أساس أنه وزَّع جسده عليهم وأن «مَنْ يَأْكُلْ

---

(٣) عبارة "محفل مقدَّس" κλητὴ ἁγία مذكورة في خر ١٢: ١٦ ولا ٢٣: ٣ و٧ و٨ و٢٤ و٢٧ و٣٥ و٣٦.

(٤) كلمة "ليتورجيا" تتكون من مقطعين هما (ليؤس) أي شعب و(إرغون) أي عمل، فيكون معنى الكلمة "عمل شعبي". انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص٤٩٠.

جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يوحنا ٦: ٥٦). فصلاة المسيح الكهنوتية في إنجيل ق. يوحنا أصحاح ١٧ لا نقدر أن نفهمها بدون أن نعتبر أنه قالها تعليقًا على تأسيس الإفخارستيا التي تجعلنا «نثبت فيه وهو فينا». والجزء الثاني من الآية يُكمّل المعنى ويؤكده **«ليكونوا مُكَمَّلين إلي واحد»**. هذه هي غاية المسيح، التي تتم كل مرة نشترك معًا في سر الإفخارستيا.

سفر أعمال الرسل

يذكر لنا سفر أعمال الرسل كيف مارست كنيسة أورشليم الأولى – التي هي المثال الذي يجب أن نحتذي بهِ – وكيف اختبر المؤمنون فيها هذه الشركة بعضهم مع بعض.

- ❖ «وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ (معًا ἐπὶ τὸ αὐτό) إِلَي الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (أعمال ١: ٤٧).
- ❖ «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (أعمال ٢: ١).
- ❖ «وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ ... وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό» (٢: ٤٢ – ٤٤).

تجتمع هذه الآيات الثلاثة في ذكر المصطلح ἐπὶ τὸ αὐτό (إبي تو أفتو) الذي تُرجم "معًا" ولكنه يعني حرفيًّا "مُلتفين معًا حول نفس الشيء أو حول نفس الفكر الواحد"، وقد جاء في الآيات المذكورة في سياق الحديث عن حلول الروح القدس وعن المواظبة معًا على كسر الخبز (الإفخارستيا) والصلوات... وسوف نرى أن هذا المصطلح سوف يستخدم من قِبل الآباء الرسوليين في إطار إفخارستي.

- ❖ «وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلاَمِيذُ **مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا خُبْزًا**[٥]**»** (أع ٢٠: ٧).

نرى في هذه الآية حقيقتين: الأولى هي ضرورة "الاجتماع" لكسر الخبز، والثانية هي التأكيد أن هذا الاجتماع كان يتم في ميعاد محدَّد وهو "أول الأسبوع" أي يوم الأحد.

---

(٥) "كسر الخبز" هو أقدم مصطلح في العهد الجديد عن الإفخارستيا، وهو مأخوذ من قول الرب «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي **الْمَكْسُورُ** لأَجْلِكُمْ» (١كو ١١: ٢٤).

قبل أن نتطرق لفكر القديس بولس في هذا السر نريد التأكيد على أن ق. بولس قد أعلن مرارًا أنهُ أخذ تعليمه من الرب رأسًا: «وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ، لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ١: ١١ – ١٢). يؤكد هذا خصوصًا قبل أن يتكلَّم عن سر الإفخارستيا: «تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا» (١كو ١١: ٢٣). فبولس الرسول لم يكن – كما يدَّعي البعض – مُخترعًا لتعاليم مسيحية، بل هو ينقل لنا ما قد تعلَّمه من الرب رأسًا، عِلمًا بأنهُ لم يحضر العشاء الأخير، ولكنهُ مع ذلك يشرح تفاصيل العشاء وكأنهُ كان وسط الاثني عشر، وتفسير ذلك أنه رأى الرب وتكلَّم معه كثيرًا عندما كان في خلوته الطويلة التي امتدت لثلاث سنوات بالعربية (جبل سيناء) (غل ١: ١٥ – ١٨).

❖ «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا **جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ** فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٧).

القديس بولس هنا يتكلم عن "الخُبْز الوَاحِد" الذي هو الإفخارستيا وعن "الْكَثِيرِينَ" الذين هم الشعب المسيحي المُجتمع معًا لكي يشتركوا في الإفخارستيا الواحدة فيصيروا بها «جسدًا واحدًا». وفي الحقيقة هذه هي أول مرة يذكر بولس الرسول في رسائله عقيدة الجسد الواحد، ومن المهم أن نلاحظ أنه يستنبطها مباشرةً مما يتم في الإفخارستيا. وفي بقية الرسالة يشرح حقيقة هذا الجسد الواحد بتفصيل أكثر مع وصف دور الأعضاء فيه «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا» (١كو ١٢: ٢٧). ويعود إلى ذلك في رسائله الأخرى: «جَسَد وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ» (أف ٤: ٤)، ولكن الذي يهمُّنا أن نلاحظه أنَّ أول مرة ذكرها استنبطها مما يتم في الإفخارستيا.

ومن جهة أخرى، يتبلور فكر ق. بولس وتعليمه اللاهوتي في عبارة "في المسيح" التي تتكرر كثيرًا في رسائله، وهي نتيجة طبيعية عنده لاتحادنا في الرب في الخبزة الواحدة.

نقطة أخرى نريد ملاحظتها في الآية أعلاه (١كو ١٠: ١٧) هي كلمة "**جَمِيعَنَا**"، وبها يؤكد ق. بولس على ضرورة اشتراك **الجميع** في الخبز الواحد. ولم يكن في ذلك مبتكرًا،

فمعروف أن الرب نفسه أكَّد على ذلك عند تأسيس السر: «وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: اشْرَبُوا مِنْهَا **كُلُّكُمْ**» (مت ٢٦: ٢٧).

❖ «لأَنِّي أَوَّلًا **حِينَ تَجْتَمِعُونَ فِي الْكَنِيسَةِ**، أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ، وَأُصَدِّقُ بَعْضَ التَّصْدِيقِ ... **فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعًا** (ἐπὶ τὸ αὐτό) لَيْسَ هُوَ لأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ. لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْبِقُ فَيَأْخُذُ عَشَاءَ نَفْسِهِ فِي الأَكْلِ، فَالْوَاحِدُ يَجُوعُ وَالآخَرُ يَسْكَرُ. أَفَلَيْسَ لَكُمْ بُيُوتٌ لِتَأْكُلُوا فِيهَا وَتَشْرَبُوا؟ أَمْ تَسْتَهِينُونَ بِكَنِيسَةِ اللهِ وَتُخْجِلُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ؟ مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ؟ أَأَمْدَحُكُمْ عَلَى هذَا؟ لَسْتُ أَمْدَحُكُمْ! **لأَنِّي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا**: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: "خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي". كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: "هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي". فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كو ١١: ١٩ – ٢٥).

يتضح لنا من هذا النص التركيز على أن إقامة سر الإفخارستيا كان قائمًا على الاجتماع معًا، فهو مع وجود تجاوز من بعض الحاضرين ولكن ق. بولس يحث المؤمنين على أن يُمارسوا الاجتماع الإفخارستي في الكنيسة بصورة صحيحة. لاحظ عبارة «تَجْتَمِعُونَ مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό».

❖ «فَإِن **اجْتَمَعَتِ** الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ...» (١كو ١٤: ٢٣)،

❖ «فَمَا هُوَ إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ؟ **مَتَى اجْتَمَعْتُمْ** فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، لَهُ إِعْلاَنٌ، لَهُ تَرْجَمَةٌ. فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ» (١كو ١٤: ٢٦).

مرة أخرى يؤكد القديس بولس على اجتماع الكنيسة كلها معًا في مكان واحد.

في أقدم النصوص الليتورجية:

الديداخي[٦]، المراسيم الرسولية، قداس القديس سيرابيون، قداس بردية دير البلايزا.

---

(٦) كلمة ديداخي تعني "تعليم" وهي أول كلمة في عنوان هذا الكتاب "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثني عشر رسولًا". والديداخي تُعد أول وأقدم تنظيم كنسي وصل إلينا. وهي تحتل أهمية ومكانًا متوسطًا بين أسفار العهد الجديد، وكتابات

تذكر لنا النصوص الإفخارستية الأولى أهمية الاجتماع معًا في يوم الرب، فنرى في كتاب الديداخي:

❖ في كل يوم خاص بالرب (Καθ᾽ ἡμέραν δὲ κυρίου)[٧]، **اجتمعوا معًا** (συναχθέντες)[٨] واكسروا الخبز واشكروا (εὐχαριστήσατε)[٩] **بعد أن تكونوا اعترفتم أولًا بخطاياكم** حتى تكون ذبيحتكم طاهرة[١٠].

يؤكد كاتب الديداخي على أهمية الاجتماع معًا وخصوصًا في يوم الرب لإقامة سر الإفخارستيا.

أما عن أهم طلبة في هذا الاجتماع فهي تتضح في النص التالي:

❖ كما أن هذا المكسور[١١] كان مبعثرًا على الجبال، وصار واحدًا عندما **اجتمعت** أجزاؤه، هكذا فلتكن كنيستك **مجموعة** من أقاصي الأرض للدخول إلى ملكوتك[١٢].

نلاحظ في هذه الصلاة ورود فعل "يجمع" (συνάγω) مرتَين: الأولى بخصوص حبات القمح التي "اجتمعت" لتُكوِّن الخبز الواحد ومرة أخرى بخصوص الكنيسة التي صارت "مجموعة" إلى واحد بفعل هذا السر. ونفس هذا الاستعمال المزدوج للفعل "يجمع" (συνάγω) سنراه في صلوات الإفخارستيا المذكورة في كل من المراسيم الرسولية والدسقولية العربية وقداس القديس سيرابيون وقداس بردية دير البلايزا. وهذا دليل على أن الإفخارستيا كانت بالأساس في ضمير الكنيسة الأولى هي سر الانجماع إلى واحد، ذلك

الآباء الرسوليين. وعمرها قد يرجع للنصف الثاني من القرن الأول أو آخره. انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص ٢٥٢.

(٧) وهو اصطلاح يدل على يوم الأحد، بدأ باستعماله ق. يوحنا كصفة κυριακῇ في سفر الرؤيا (رؤ ١: ١٠) واستمر بعد ذلك في التقليد الكنسي كما سنرى في أقوال القديس يوستينوس الشهيد.

(٨) هو نفس الفعل συνάγω المستخدم في يوحنا ١١: ٥٢ «ليجمع (συναγάγῃ) أبناء الله المتفرقين إلى واحد».

(٩) وفعل الشكر هذا قد صار اسمًا للإفخارستيا فيما بعد.

(١٠) الديداخي ١٤:١.

(١١) أي خبز الإفخارستيا المكسور، وهذا التعبير مستوحى من أقدم اصطلاح إفخارستي في العهد الجديد أي «كسر الخبز» (أع ٢: ٤٢ و٢٠: ٧ ولو ٢٤: ٣٥).

(١٢) الديداخي ٩:٤.

لأنها ذكرى فعلية أو استحضار لذبيحة المسيح التي قدَّمها «**ليجمع** συναγάγῃ **أبناء الله المتفرقين إلى واحد**» (يو ١١: ٢٥).

النص من المراسيم الرسولية[١٣]:

❖ أنت أيها السيد ضابط الكل، الله الأبدي، كما كان هذا مبعثرًا ثم **اجتمع** فصار خبزًا واحدًا، هكذا **اجمع** كنيستك من أقاصي الأرض إلى ملكوتك.

النص من قداس سيرابيون[١٤]:

❖ وكما كان هذا الخبز مبعثرًا فوق الجبال، ثم صار **مجتمعًا** إلى واحدٍ، هكذا **اجمع** كنيستك المقدسة من كل الأمم ومن كل البقاع ومن كل مدينة وقرية وبيت، واجعلها كنيسةً واحدةً حيةً جامعةً.

أما نص قداس بردية دير البلايزا[١٥]:

❖ وكما كان هذا الخبز مبعثرًا فوق الجبال والتلال والحقول، ولما **اجتمع** معًا صار جسدًا واحدًا...، وبالمثل أيضًا هذا الخمر الذي خرج من كرمة داود المقدسة، وهذا الماء الذي خرج من الحمل الذي بلا عيب، امتزجا معًا صائرَين سرًّا واحدًا، هكذا أيضًا **اجمع** كنيستك الجامعة.

إن التطابق المُذهل في هذه الطلبة بالذات في هذه النصوص المختلفة لهو شيء يسترعي الانتباه والتأمل، فمع وجود فارق زمني بين كل من نص الديداخي (آخر القرن الأول تقريبًا)، والمراسيم الرسولية (٣٥٠م)، وقداس سيرابيون (٣٣٠ – ٣٦٠م)، وبردية قداس دير البلايزا (القرن السادس)، فهذه النصوص الأربعة تشترك في تمثيل الكنيسة بحبات القمح التي اجتمعت معًا لتُكوِّن خبزة واحدةً، فهي على مثال ذلك تطلب من المسيح أن يجمع كنيسته الواحدة[١٦].

---

(١٣) المراسيم الرسولية الكتاب السابع:٢٥، انظر: أنبا إبيفانيوس، قداس القديس مرقس (القداس الكيرلسي)، دار مجلة مرقس، طبعة ٢٠١٥، ص ٥٢. ويقابلها في الدسقولية العربية الباب ٣٦: ٢٨.

(١٤) انظر: أنبا إبيفانيوس، المرجع السابق، ص ٥٢.

(١٥) انظر: أنبا إبيفانيوس، المرجع السابق، ص ٥١.

(١٦) سوف نرى تعليقات على تمثيل وحدة الكنيسة بوحدة حبات القمح في الخبزة الواحدة في أقوال القديس

صلاة أخرى نراها مشتركة بين الديداخي وبين المراسيم الرسولية (اليونانية) والدسقولية (العربية) تقال في الاجتماع الإفخارستي من أجل أن يجمع الرب كنيسته. تقول الديداخي:

❖ اذكر يا رب كنيستك، لتُنجيها من كل شرٍّ، وتُكمِّلها في محبتك، **وتجمعها كنيسةً** مقدَّسةً **من الرياح الأربع** إلى ملكوتك الذي أعددته لها، لأن لك القوة والمجد إلى الأبد أمين[١٧].

فانجماع الكنيسة من الرياح الأربع هو من صميم الثمار التي نرجوها من الإفخارستيا. وتوجد في المراسيم الرسولية والدسقولية العربية صلاة مقابلة لهذه، ولكن تُضيف لها مفعول الدم الإلهي في تحقيق ذلك:

❖ اذكر يا رب كنيستك المقدسة التي اقتنيتها لك بالدم الكريم الذي لمسيحك، نجِّها من كل شرٍّ، وكمِّلها في محبتك وحقِّك **واجمعنا جميعًا معًا في ملكوتك**[١٨].

تذكر الديداخي أيضًا تحذيرًا مشدَّدًا ضد إقامة الإفخارستيا في حضرة اثنَين متخاصمَين، لأنه لا يمكن إقامة سر الوحدة في جو من الخصام، وإلا تنعدم قوة السر. توصي الديداخي[١٩]:

❖ لا يشترك في اجتماعكم كل من كانت له خصومة مع رفيقه إلا بعد أن يتصالحا، لئلا تتنجَّس ذبيحتكم.

تعليم الدسقولية عن الجسد الواحد

❖ علِّم أنت أيها الأسقف الشعبَ ومُرهم وعلِّمهم أن يُلازموا الكنيسة بكرة وعشية كل يوم، وأن لا يثبتوا خارجًا عنها البتة، بل ليجتمعوا إليها كل حين لئلا تضعف الكنيسة بقيامهم خارجًا عنها، أو **بتركهم جسد المسيح تعوزه أعضاء منه**[٢٠].

❖ فلا تقوموا خارجًا عن اجتماع الكنيسة ولا تتفرَّقوا من أنفسكم، لأنكم أنتم أعضاء

كبريانوس الشهيد والقديس يوحنا ذهبي الفم.

(١٧) الديداخي ١٠: ٥.

(١٨) المراسيم الرسولية الكتاب السابع: ٢٦، وتقابلها صلاة مشابهة في الدسقولية العربية الباب ٣٦: ٣٩-٤٠.

(١٩) الديداخي ١٤: ٢

(٢٠) الدسقولية العربية ١٠:٥٠، طبعة د. وليم سليمان، ١٩٧٩، ص ٢١٠-٢١١، وتقابلها المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.

المسيح، لأنه هو رأسنا كوعده الذي وعده إيانا. وهو كائن معنا ومشاركنا. فلا تتكاسلوا أنتم **ولا تُقطّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرّقوه من جسده، ولا تُفرّقوا أعضاءه.** ولا تجعلوا الحاجات العالمية مختارة على كلام الله الذي فيكم. لكن اجتمعوا بكرة وعشية كل يوم في الكنيسة[٢١].

يلاحظ في هذه الأقوال من الدسقولية أنها مبنية على فهم واقعي إلى أبعد حدٍّ لما تفعله الإفخارستيا في الكنيسة إذ تجعلها جسدًا واحدًا للمسيح وتجعل من المؤمنين أعضاءً لهذا الجسد «لأنكم أنتم أعضاء المسيح»، وفي هذا الجسد لا مكان للانفرادية، بل إن مجرَّد الغياب عن اجتماع الكنيسة يُعتبر تقطيعًا لأعضاء المسيح «ولا تُقطّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرّقوه من جسده».

من كتاب التقليد الرسولي المنسوب لهيبوليتوس الروماني

- ونطلب إليك أن ترُسل روحك القدوس على قرابين كنيستك المقدسة، مانحاً الوحدة لجميع الذين يشتركون في قدساتك، ليمتلئوا بالروح القدس، لتثبيت إيمانهم في الحق[٢٢].

في هذا النص يُسجِّل لنا هيبوليتس نص الليتورجية كما كانت تقام في أيامه. ونلاحظ فيها أن الروح القدس يجعل قرابين الكنيسة **تمنح الوحدة لجميع الذين يشتركون فيها.** وهذا يُذكّرنا بما نصلّي به حتى الآن في القداس الباسيلي: «واجعلنا مستحقين أن نتناول من قدساتك تقديسًا لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا **لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا...**»، ففي النصَين تظهر الإفخارستيا بأنها هي عماد وحدة الكنيسة.

ومن القوانين المنسوبة للبابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية

- لا يقلق (أي لا يتعجَّل) أحدُ الكهنة مريدًا أن يُقدِّس قبل أن يجتمع الشعب ويُسمِعوا (أي يردُّوا) الليلويا، لأنه مكتوب إن مجد الملك بين جموع كثيرة (أمثال ٢٨:١٤)، والذي يُفرِّق ويُبدِّد شعبَ الله من أجل رضى الناس، الله يُفرِّقه. من أجل

(٢١) الدسقولية العربية ١٠: ٥١ – ٥٢، المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٢، المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.
(٢٢) التقليد الرسولي ١٢:٤، نشره الراهب القس أثناسيوس المقاري، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، ص ١٠٨ – ١٠٩.

هذا لا تستحِ أيها الكاهن من قوم ولكن طَوِّل روحَك حتى يجتمع الشعب[٢٣].

تعليق

هذا القانون يعالج مشكلة مزمنة في الاجتماعات الكنسية وهي أن يتعجَّل البعض ويقيموا الصلاة والكنيسة فارغة، دون أن ينتظروا مجيء الشعب، ويكون ذلك عادةً تحت إلحاح عوامل جسدية مثل الرغبة في إنهاء الصوم وإراحة الجسد، سواء من قبل الكهنة أو من قِبَل أرخن له شأن في الكنيسة، لذلك يُحذِّر القانون الكاهن من أن "يبدِّد شعب الله من أجل رضى الناس". وأيضًا "لا تستحِ أيها الكاهن من قوم ولكن طَوِّل روحَك حتى يجتمع الشعب".

فالإفخارستيا هي "سر الجماعة المجتمعة" μυστήριον συνάξεως كما رأينا، ولا يجوز إقامتها بدون أن يجتمع الشعب معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό).

ونستشف من كلام بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن مثل هذه المشكلة كانت قائمة منذ أيامه، ولو أن في زمانهم لم يكن صوم يسبق الإفخارستيا بل كان السرُّ يُقام خلال "عشاء الرب"، ومع ذلك ما كانوا ينتظرون بعضهم بعضًا! «فحين تجتمعون معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό) ليس هو لأكل عشاء الرب، لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل». يُفهم من ذلك أن هدف الاجتماع كان أصلاً لإقامة "عشاء الرب" ولكن كون "كل واحد يسبق ويأخذ عشاء نفسه" كان يُخرج الاجتماع من كونه "عشاء الرب". وبعد أن حذَّرهم بكلام كثير من الاستهانة بهذا السر، الأمر الذي يجعلهم في خطر التناول بدون استحقاق، ختم قائلاً «إذًا يا إخوتي حين تجتمعون للأكل (لإقامة عشاء الرب) انتظروا بعضكم بعضًا» (١كو١١: ٢٠-٣٣).

وفي التقليد الرهباني

على أننا نجد في التقليد الرهباني، في أفضل عصوره، ممارسة أكثر أصالة، تنمُّ عن فهم أعمق لطبيعة الإفخارستيا كونها "سر الجماعة المجتمعة" μυστήριον συνάξεως،

(٢٣) انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٨٢

فنقرأ في أقوال آباء البرية:

- ... لأنه هكذا كانت العادة في تلك البرية: أن لا يبدأوا صلاة القداس σύναξις إلا بعد أن يحضر جميع الإخوة. فلمَّا انتظروا كثيرًا والأخ لم يأتِ، ذهبوا ليفتقدوه قائلين: "لعله يكون مريضًا أو ربما يكون انتقل..." [٢٤].

هكذا كان يُعتبر غياب أخ واحد من الإخوة أمرًا معطِّلاً لإقامة القداس. هذا الإدراك الواقعي لكون الإفخارستيا سر الجسد الواحد الذي لا يكتمل إلا بحضور جميع الأعضاء معًا، يُعتبر تطبيقًا عمليًا لما قرأناه في الدسقولية: «فلا تتكاسلوا أنتم ولا تُقطِّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرِّقوه من جسده، ولا تُفرِّقوا أعضاءه». فالفرد ليس حرًّا في أن يحضر أو لا يحضر الاجتماع الإفخارستي بحسب ما يتراءى له، أو بحسب ما يظنه نافعًا لحياته الشخصية، ذلك لأنه عضو في جسد متكامل، وغيابه – علاوة على أنه يُحزن أرواح إخوته – فإنه يُعتبر إساءة لجسد الرب نفسه «بتركهم جسد المسيح تعوزه أعضاء منه» [٢٥].

(يتبع)

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****

(٢٤) أقوال آباء البرية، المجموعة المجهولة النسب Anonymous قول رقم ٧٦١ب.

(٢٥) الدسقولية العربية ١٠:٥٠، طبعة د. وليم سليمان، ١٩٧٩، ص ٢١٠-٢١١، وتقابلها المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.

من
التراث الكنسي

لا توجد أعضاء بدون أهمية

الأب أنتوني م. كونيارس

لا توجد أعضاء بدون أهمية:

لا توجد أعضاء بلا أهميَّة، أو غير ضروريَّة في الجسد البشري. يُمكن للإنسان أنْ يُمسِك بيديه ويُعالج ببراعة، ويعمل واجبات كثيرة يوميًّا بهما، ولكن هذا يتمُّ فقط بإبهام يده الصَّغير غير الجذَّاب. حاول أنْ تلتقط أيَّ شيء بدون الإبهام. حاول أنْ تتَّزن في وقفتك بدون أنْ تستخدم أصابع قدمك التي تبدو كما لو كانت ذميمة.

كلُّ عضوٍ في الجسم يعمل لصالح الجسم كلِّه. العين تبصِر لصالح كلِّ الجسم، وهكذا اليد. الأسنان تمضُغ الطعام لصالح كلِّ الجسم، وهكذا المعدة تهضم الطَّعام لصالح كلِّ الجسم؛ وهكذا بالمثل القلب والكُلْيتان والكبد والطُّحال والمرارة... إلخ. الكلُّ يعمل كفريق واحد لصالح كلِّ الجسم، فلا يوجد عضو واحد يعمل أيَّ شيء بمعزل عن الآخَرين، ولكن الكلُّ يعمل في شركة koinonia. خَلَقَنا الله لا لنكون غير مُعتمدين على بعض، بل مُعتمدين على بعض. خلقنا الله لا لنكون جماعة أفراد مُنعزلين، ولكن أعضاء في شركة، جماعة مؤمنين مُعتمدين عليه أوَّلاً وعلى بعضنا البعض.

كلُّ خليَّة في الجسم لها وظيفتها المعيَّنة، ولكنها تعمل في تآزر مع كلِّ خليَّة أُخرى. الخلايا التي تُصمِّم ألاَّ تعتمد على الخلايا الأُخرى وفي استقلاليَّة هي الخلايا السَّرطانيَّة، ونموُّها غير المنضبط يؤدِّي بالجسم إلى الوفاة.

يشرح القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom كيف يعمل الجسد في وحدة فيقول:

> [خلق الله كلَّ النَّاس روحيًّا متساوين، وكلُّ شخص له نفس الميل والنَّزعة للخير أو للشرِّ، وكلُّ شخص له نفس الاختيار ليطيع الله أو يتحدَّاه؛ ومع ذلك، ففي

كيفيَّة أُخرى نحن غَير متساوين، فبعض النَّاس أذكياء جدًّا، بينما آخَرون ذكاؤهم ضعيف؛ بعض النَّاس أقوياء طبيعيًّا وأصحَّاء؛ بينما آخَرون ضعفاء ومعرَّضون للمرض؛ بعض النَّاس نراهم جذَّابين ووسيمين، بينما البعض بلا جمال. أولئك الذين أخذوا مواهب وعطايا بطريقة ما، لا يجب عليهم أنْ يحتقروا الذين نالوا أقلَّ منهم، بل على العكس، فإنَّ الله قد وزَّع المواهب والبركات بطريقة تجعل لكلِّ شخص مكانًا معيَّنًا وهدفًا في المجتمع، وهكذا يكون لكلِّ واحد بالتَّساوي ضرورة ليعمل في المجتمع. لذلك ليس عليك أنْ تستاء مِن حقيقة أنَّه يوجد البعض أكثر ذكاءً أو قوَّة عن الآخَرين؛ بل على العكس أُشكر الله على ذكائهم وقوَّتهم التي تستفيد أنتَ شخصيًّا منها، وبعد ذلك اسأل نفسك: "ما هي موهبتي، وأين مكاني إذن في المجتمع؟" بعد أنْ تجيب على هذا السُّؤال، وتعمل بحسب إجابتك، فكلُّ امتعاض واستياء سيتلاشى].

إنْ كنتُ قَدَمًا في جسد المسيح، ولكن أُحاول أنْ أعمل عمل اليد، فلن أكون قد عملتُ ما يطالبني المسيح أنْ أعمله، والنتيجة أنَّ باقي أعضاء الجسم ستتأذَّى وتُعاني.

استجابة فوريَّة:

عندما يصطدم أصبع القدم بحَجَر، فإنَّه يُرسِل استغاثة للأكسجين وكرات الدَّم الحمراء في بقيَّة الجسم. لنفترض أنَّ القلب يقول: "إنَّني أتضايق وأنزعج بهذه الأمور التَّافهة، ويقول إنَّه يمكننا أنْ نستمرَّ في الحياة بدون هذا الأصبع الصَّغير، وأنا مِن الأهميَّة بدرجة لا تسمح لي بالانشغال بهذا الأصبع الصَّغير، إذ يجب عليَّ أنْ أصون وأحتفظ بطاقتي وقوَّتي للأمور الضَّروريَّة"، ومِن ثمَّ يحدث أنَّ هذا العُضو يموت ويُبتر. وافترض أنَّ هذا القلب، العضو المركزي في الجسم يستمر في هذا التصرُّف الأناني ممَّا يترتَّب عليه موت عضو وراء الآخَر، ماذا ستكون النَّتيجة؟ مِن الطَّبيعي أنَّ القلب نفسه سيموت، إذ لا يمكنه أنْ يعيش بنفسه، لأنَّه إنْ ماتت جميع الأعضاء التَّابعة، فالقلب سيفقد معناه ويموت، لأنَّه ليست له الكفاءة ليعيش بمفرده، فالقلب يجد مكانه ومعناه عندما يقوم بخدمة باقي الأعضاء. هل رأيتَ مِن قبل في عمليَّة جراحيَّة قلبًا وقد فُصِل مِن الجسم وهو ينبض على ترابيزة العمليَّات. إنَّه منظر سيِّء جدًّا، لأنَّه ليس هذا ما وُجِد القلب ليكون عليه. هذه صورة دقيقة لأيِّ عضو في الكنيسة يظنُّ أنَّ في إمكانه (إمكانها) أنْ

يعيش بدون أعضاء الجسد الأُخرى. الكنيسة سيمفونيَّة وليست عزفًا منفردًا. الكنيسة هي شراكة بين أعضاء متعاونين. لا يوجد في أسرار الكنيسة شيءٌ منفصلٌ فرديًّا، ولكن شخص في علاقة، في المعموديَّة وفي الإفخارستيَّا مع الله ومع الأشخاص الآخَرين[1].

أهميَّة التنوُّع

يُوضِّح المطران جون زيزيولاس (Metropolitan John of Pergamon Zizioulas) أهميَّة التنوُّع في حياة الكنيسة بناءً على (١كو ١٢) فيقول:

"كلُّ عضوٍ في الجماعة لا غِنَى عنه، وهو يحمل مواهبه (مواهبها) للجسد الواحد. هناك احتياج لجميع الأعضاء، ولكن ليست جميع الأعضاء متماثلة؛ الاحتياج للأعضاء ضرورة بسبب أنَّها مُختلفة، وقد يحوي اختلافات طبيعيَّة واجتماعيَّة، وأيضًا روحيَّة. وعلى المُستوى الطَّبيعي أيضًا توجد اختلافات في السُّلالة والجنس والسِّن، وجميع الاختلافات يجب أنْ تُضمَّ في اختلاف مواهب الشَّركة. لا يجب أنْ يُستبعد أحد بسبب الاختلاف في الجنس أو السُّلالة أو السِّن.

هذا حقيقي أيضًا بخصوص الاختلافات الاجتماعيَّة: غَني وفقير، قوي وضعيف، والكل يجب أنْ يجد مكانه في الجماعة. نفس الشَّيء يجب أنْ يقال بخصوص الاختلاف في المواهب الروحيَّة. ليس الجميع في الكنيسة رسلاً، وليس الجميع مُعلِّمين، وليس للجميع مواهب شفاء؛ ومع ذلك فالجميع في احتياج بعضهم لبعض. الاعتداد بالمكانة الروحيَّة الذي أدانه القدِّيس بولس في كنيسة كورنثوس لم يتوقَّف في أنْ يجرِّب الكنائس، إذًا فيجب استبعاده مِن مفهوم الشَّركة الكنسيَّة"[2].

لا توجد طبقية روحية في جسد الكنيسة:

ما قاله المطران جون زيزيولاس عن عدم وجود طبقية روحية يعتمد على حقيقة أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة ليست قائمة على الدرجات الرِّئاسيَّة فقط، بل هي أيضًا مجمعيَّة. يُعبَّر

(1) *The Journey Into God.* Kenneth L. Bakken.Augsburg Public. Co. Mpls.MN 2000.

(2) *The Church as Communion*. SVTGQ38. 1994. 3-16,8

عن نوعيَّة الطَّبقات الروحانيَّة بالاعتقاد الخاطئ أنَّ البطاركة والأساقفة هُم فقط المحتاج إليهم في إدارة وتوجيه جسد المسيح، الكنيسة، وأنَّ بقية الإكليروس والعَلمانيِّين لا دور لهم إيجابي، دوْرهم دورٌ سلبيٌّ فقط؛ ولكن كما يقول بولس الرَّسول، إن جاز إعادة صياغة الآية إنَّه ليس الجميع بطاركة، ليس الجميع مطارنة، ليس الجميع أساقفة، بل يوجد جمهور كبير مِن أشخاص آخَرين يكوِّنون جسد المسيح. لهذا السَّبب نحن نؤمِن أنَّ الكنيسة ليست مُرْتبطة بالدَّرجات الرِّئاسيَّة فقط، بل أيضًا هي مجمعيَّة، وهذا يعني أنَّ كلَّ معمَّد وأنَّ كلَّ ممسوح بالميرون في جسد المسيح له دورٌ فعَّالٌ يقوم به في إدارة وتوجيه الكنيسة. قال الآباء البطاركة (اليونان) في اجتماعهم عام ١٨٤٨م: "العَلمانيُّون حُرَّاس الإيمان. لا يوجد نوعٌ مِن الانفرادية الرِّئاسيَّة في جسد المسيح، وكما يقول القدِّيس بولس:

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا. فَوَضَعَ اللهُ أُنَاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا، ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ، ثُمَّ قُوَّاتٍ، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، أَعْوَانًا، تَدَابِيرَ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. ألعلَّ الجميع رسلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟ أَلَعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يُتَرْجِمُونَ؟» (١كو ١٢: ٢٧ – ٣٠).

انفراد الدَّرجة الرِّئاسيَّة يعني كما لو كانت المِعْدة تقول لباقي أعضاء الجسد: "لا حاجة لي إليكم، لا مكان لكم في جسد المسيح". تنوُّع المواهب موجود في كلِّ الجسد، الكهنوت والعَلمانيِّون.

وبحسب كلمات الأب بول إيفدوكيموف Paul Evdokimov:

"الكنيسة دائمًا تعاونيَّة مجمعيَّة sobornal**. السُّلطة في الكنيسة ليست على الإطلاق مِن فوق، مِن أعلى، يسيطر عليها رجال الكهنوت، ولكن مركزها هو المسيح، وهي تنتعش بحيويَّة بالرُّوح القُدُس، في جماعة دائمًا تشمل الرُّعاة والشَّعب. هويَّة الكنيسة وحقُّها يُعبَّر عنه جيِّدًا في الجماعة الإفخارستيَّة"**[٣].

وكلمات الأب توماس هوبكو Fr. Thomas Hopko توضِّح الموضوع، فيقول:

"الكنيسة مجمعيَّة... يُحاسَب فيها العَلْمانيُّون مِن الإكليروس، وهؤلاء

(3) *L'Orthodoxie*,123-66.

بدورهم يُحاسَبون مِن العَلْمانيِّين. بحسب طبيعة الحياة المسيحيَّة الدَّقيقة، لا يوجد انقسام بين ديني ودُنيوي، روحي ومادِّي، كاهن وعَلْماني، فكلُّ شيء يُعمل بواسطة الله ولأجل الله؛ وبنعمة الله وقوَّته، فإنَّ جميع أعضاء الجسم تعمل معًا، كلٌّ يقوم بدوره (أو دورها) بحسب مكانه (أو مكانها) ودعوته وخدمته"[٤].

احتجاج أعضاء الجسد:

نُلقي نظرة على المقطوعة الشعريَّة المُمَيَّزة التَّالية والمُعَنْوَنة: "*احتجاج أعضاء الجسد*":

"أنا قدمٌ ومع ذلك عظيم،
فمن يُريد أنْ يكون يدًا؟

أنا يدٌ لها مهارتها وجمالها،
ولن أُساوم بمكاني أبدًا.

أنا عينٌ وأُبصِر،
وكلُّ عضو يريد أنْ يكون مِثلي،
لكن، لا يجب أنْ يكون أحدٌ مثلي.

أنا رُكْبة شديدة وقويَّة.

أنا فم، يخرج منِّي صوتٌ جميل،
وأنا مميَّز مِن جميع الأعضاء،
ودون كلِّ الأعضاء أنا الأفضل، بل ومَن يستطيع الكلام؟

أنا رِجْل، وأحبُّ المشي،
مُمكن للرِّجْل أنْ تمشي، ولكن هل يمكنها أنْ تسمع؟
وإلاَّ فيجب أنْ تكون أُذُنًا!

ولكنَّك لا تستطيع أنْ تشمَّ عن طريق أيٍّ مِن تلك الأعضاء.

إذا كنتَ تريد أنْ تشمَّ، يجب أنْ يكون لك أنْفٌ.

---

(4) *Speaking the Truth in Love.* Thomas Hopko. SVS Press. Crestwood, N.Y. 2004.

كلُّ عضوٍ يَظُنُّ أنَّه الأفضل،

ويحتقر باقي الأعضاء.

مَن يستطيع أنْ يودي بافتخارهم؟

ومَن يستطيع أنْ يكون مُرشدًا لهم؟"

(S. Spencer)

«وأمَّا أنْتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفرادًا» (١كو١٢: ٢٧).

أَقْيَم لاعب

قارن الاتِّجاه السَّابق باتِّجاه "جو كاب Joe Kapp"،فقد حدث أنْ أُعْلِنَ أنَّ جو كاب الظَّهير الخلفي هو أفضَل لاعب في فريق الفايكنج في ولاية مينيسوتا في أمريكا، وفي حفل عشاء طُلِب أنْ يتقدَّم جو كاب ليأخذ الجائزة، ولكنَّه رفض التقدُّم إلى المنصَّة، بل اقترب قليلًا وقال: "كلُّ عضوٍ في الفريق هو أفضل لاعب، لأنَّه لا يُمكن لأحد في الفريق أنْ يتفوَّق دون الآخَرين"، وعاد إلى مقعده فيما كانت الجائزة لا تظلُّ في يد مقدِّمها.

أليس هذا هو نفس ما يقوله بولس الرَّسول عندما يتحدَّث عن الكنيسة، جسد المسيح؟

في الفريق الرُّوحي، لا يبحث الفرد عن بلوغ كماله الفردي، ولكن مِن أجل منفعة كل المجموعة أو الجسد. أولئك الذين يمارسون لعبة كرة السلَّة يعرفون جيِّدًا أنَّه قد يكون في رغبة اللاعب أنْ يرمي الكرة في السلَّة في كلِّ مرَّة تصل إليه ليحصل على عدد نقاط أكبر، ولكن قد يحدث نتيجة هذه الأنانيَّة أنْ يخسر الفريق ككلٍّ المباراة.

إنْ تألَّم عضو، فباقي الأعضاء تتألَّم معه

هذه الآية يمكن توضيحها بطريقة جميلة مِن خلال القصَّة التَّالية، والتي تبيِّن كيف أنَّ جميع أعضاء الجسم تعمل معًا لينال العضو المتألِّم في الجسد الشِّفاء، وهذه القصَّة حدثت منذ عدَّة سنوات في أولمبياد سيتل Seattle Olympics:

قصَّة:

تجمَّع عشرة أفراد مِن المُشتركين في المباراة، وكلُّهم مرضى ذهنيًّا أو بدنيًّا عند نقطة البداية في سباق الـ ١٠٠ متر، وعند صفارة الابتداء جرى الجميع آملين الوصول إلى النِّهاية والفوز.

ولكن حدث أنْ تعثَّر أحد المتسابقين على الأسفلت وأخذ يتشقْلب عدَّة مرَّات ثمَّ أخذ يصرخ. سمع الآخَرون زميلهم وهو يصرخ، فأبطأوا في الجري ثمَّ توقَّفوا وعادوا إليه، عاد الجميع. تقدَّمت إحدى الفتيات، والتي تُعاني مِن مرض داون Downs Syndrome وانحنت عليه وقبَّلته وهي تقول: "هذه ستجعلكَ أفضل"، وتقدَّم العشرة وأياديهم متماسكة وأخذوا يتقدَّمون نحو نقطة النَّهاية.

وقف جميع المتفرِّجين المتواجدين في الإستاد وظلُّوا يهْتفون لمدَّة عشر دقائق متوالية.

«فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ» (١كو ١٢: ٢٦).

ومع أنَّه لدى الأعضاء مواهب مختلفة، إلاَّ أنَّ بعضها خفي وبعضها ظاهر جدًّا؛ وبعضها يبدو كما لو كان يقوم بكلِّ العمل، بينما الآخَر يبدو أنَّه لا يؤدِّي أيَّ عمل، وهذا يحقِّق قول بولس الرَّسول: **«لكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ، مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ»** (١كو ١٢: ٢٤و٢٥).

ليس واحد، ولكن كثيرون يحملون الكرة

حدث ذات يوم أنْ أدَّى فريق مِن فِرَق كرة قدم أداءً سيِّئًا، ممَّا اضطرَّ المدرِّب أنْ يُعْطي تعليماته للفريق أثناء المباراة مِن خارج الملعب. صاح المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، وكان جون على بُعد عشرة أمتار مِن المرمى، ولكنَّه فشل في إصابة الهدف. ومرَّة ثانية صاح المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، وكان جون هذه المرَّة على بُعد خمسة أمتار مِن المرمى، ولكنَّه فشل أيضًا في إصابة الهدف. وفي مرَّة ثالثة قال المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، ولكن كان كلُّ خط دفاع الفريق الآخَر محيطًا بجون، ففشل في إصابة الهدف.

الحياة المؤثِّرة في جسد المسيح تحتاج أنْ: "يحمل كثيرون الكرة"، وليس جون كلَّ الوقت. ليس مِن الصَّواب الاعتماد على عضوٍ واحدٍ في الفريق، أكان بطريركًا، أو مطرانًا، أو أسقفًا أو كاهنًا، أو شماسًا، أو عَلمانيًّا ليقوم بكلِّ العمل، ويقوم بمفرده بالتَّفكير والتَّدبير. الروحانيَّة الكنسيَّة لا تعتمد على طبقة معيَّنة.

(يتبع)

لباسُ (ثوب) العُرس

«طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!» (رؤ ١٩: ٩)

تمهيد:

بعدما قدَّم الربُّ يسوع لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مَثَل الكرَّامين الأردياء، الذين أقامهم صاحب الكرم على كرمه الذي أعدَّه جيِّدًا وأحاطه بسياج، وبنى داخله معصرة، فإذ بالكرَّامين يفاجئون الجميع، إذ أمسكوا بالعبيد المُرسَلين إليهم ليأخذوا من ثمر الكرم، فجلدوا بعضهم، وقتلوا بعضًا، ورجموا بعضًا (انظر: مت٢١: ٣٣–٣٦). ثم كرَّروا فعلهم هذا مع عبيد آخرين، وفي النهاية، قتلوا ابن صاحب الكرم الذي أرسله إليهم. ففهمَ السامعون أنَّ هذا المَثَل مُنطبِقٌ عليهم، وموجَّهٌ للأمة اليهودية ورؤسائها. حينئذٍ، أتبَعَ الربُّ المَثَل السابق بمَثَلٍ آخر، لهم وللجميع (يهودًا وأمميين)، عُرِف بمَثَل عُرس ابن الملك (مت٢٢: ١–١٤)، حيث أراد الربُّ أن يُظهِر به للجميع عِظم سخائه ورحمته دون تمييز، وأنهما مقدَّمان للبعيدين كما للقريبين. لأنَّ اليهود الذين ظنُّوا أنهم أبناء إبراهيم، ووارثون وحدهم لبركته قد سقطوا من النعمة، ولم يقبلوا دعوة الخلاص، ولم يعملوا أعمال أبيهم إبراهيم، ولم يفرحوا مِثله عندما نظر عن بُعدْ بُشرى الخلاص، فصدَّقها وآمن وفرح بها. لذلك طُرِدوا من أمام وجهه، وجاء الربُّ بالبعيدين – من الأمم – بإيمانٍ وعزم قلب، فصدَّقوا وآمنوا وسبقوا الجميع نحو الملكوت، مثلما يظهر لنا من أمثلة منهم، كما في شخص كرنيليوس قائد المئة، والمرأة الكنعانية وغيرهم.

الدعوة إلى العُرس دعوة إلهية:

الدعوة إلى العُرس السمائي قدَّمها الربُّ – في هذا المَثَل – للجميع، كهبة مجَّانية؛ إذ قال: «اذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ»، «كُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ» (مت٢٢: ٩–١١). ولم يكن هناك شرط لحضور هذا العرس سوى قبول الدعوة؛ بمعنى الإيمان بالربِّ يسوع وقبوله مخلِّصًا (بالمعمودية المقدَّسة). فالله يريد **أنَّ الجميع يخلصون**: (راجع: ١تي٢:٤)، لذلك فدعوة

الآب: «**تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ**» إنَّما هي – في الواقع – دعوة إلهية تحمل سلطانًا فائقًا، يقدر أن يجتذب قلوب المدعوِّين إلى العريس السمائي، كيما يشتركوا في وليمته، ويتَّحدوا به اتحادًا أبديًّا، وذلك دون إجبار أو إلزام. فالآب هو صاحب هذه الدعوة، والابن هو العريس الذي دفع تكلفتها، والروح القدس هو العامل فينا ليُهيِّئنا لشركة العرس السمائي ويُلبسَنا لباس العرس.

ولإيضاح هذا الأمر نقول: إنَّ الله الآب قد صنع لابنه الوحيد (العريس) هذا العُرس الكبير، حينما أعلن عن محبته لنا، بتجسُّد ابنه الحبيب من أجلنا، لكي نشترك في وليمته، ونتَّحد به، ونلتصق بروحه القدوس، من خلال الكنيسة (جسده السرِّي على الأرض) لأنَّ من التصق بالربِّ فهو روح واحد: (انظر ١كو٦:١٧).

كذلك فإنَّ الدعوة إلى العرس، هي دعوة للعطاش إلى الحكمة لكي يرتووا منها. وملكوت الله هنا في هذا الزمان، هو نفسه الكنيسة المعتبَرة أنها عرس دائم، أقامه الآب لابنه لينعم به معها (أي الكنيسة)، وتنعم هي به بحلوله الدائم في وسطها. فالحكمة تدعو الجميع هنا قائلة: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا. اتْرُكُوا الْجَهَالاَتِ فَتَحْيَوْا، وَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْفَهْمِ» (أم٩: ١–٦). فهي دعوة إلهيَّة، يحرم نفسَه منها كلُّ من يظن أنَّه في حالة شبع، لأنها دعوة للخطاة التائبين، لينعموا بها أكثر من الذين يظنون أنفسهم أبرارًا. فالأب قد أقام وليمته لابنه الضال حينما عاد، وألبسه الحُلَّة الأولى، ووضع خاتم البنوَّة في إصبعه، بينما الابن الأكبر، بسبب كبرياء قلبه، حزن ولم يشأ أن يدخل، فحرم نفسه من شركة الفرح وأطايب الوليمة، لأنَّه كان يشعر أنه أفضل من أخيه، مثلما ظنَّ بنو إسرائيل أنهم الأفضل بسبب بنوَّتهم الجسديَّة لإبراهيم، دون أن يقدِّموا دليلًا واحدًا من حياتهم وإيمانهم يبرهن على ذلك.

وهكذا انفتح باب الخلاص للبشرية على مصراعيه، ليدخل الجميع إلى الوليمة (يهودًا وأممًا)، ويفرح الجميع في عرس الابن، مع الآب والروح القدس (في الكنيسة عروس الخروف).

موقف المدعوِّين من العُرس:

تباينت مواقف المدعوِّين إلى العرس تجاه هذه الدعوة الإلهيَّة المجَّانية، ووقفوا جميعهم

موقفًا مُخزيًا منها، يعبِّر عنه البشير بقوله: «وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا» (مت ٢٢:٥)، وهذا الأمر أغضب الملك كثيرًا، فأرسل جنوده فأهلك هؤلاء القاتلين وأحرق مدينتهم: (مت ٢٢:٧). والغريب أنَّ هؤلاء المدعوِّين، برغم محاولات الملك (الآب) الدؤوبة لدعوتهم واستمالتهم، بتوفير كل شيء لهم، من ذبائح وثيران ومسمَّنات، وبطمأنتهم بأنَّ كلَّ شيء قد أُعدَّ؛ إلاَّ أنَّ بعضهم اعتفى بحجة الانشغال بأعمال في الحقل، وآخرون لانشغالهم بتجارتهم؛ كمثال أهل العالم اليوم، الذين حينما يُدعَون ببشارة الإنجيل، يستخفُّون بها وينشغلون عنها بأمور أخرى كثيرة، وبأمور تختصُّ بذواتهم ومحبتهم للمال، واهتمامات متنوعة أخرى – حتى ولو كانت منطقية حسب الظاهر – مثل مرثا أخت لعازر ومريم، ولكنهم نسوا أمر حياتهم الأبديَّة، وشركتهم في العرس السمائي، وأنَّ الوقت الآن هو وقت مقبول، وإلاَّ حُرموا من الفرح الأبدي. فهم قد أحبُّوا مجد وزهو هذا العالم أكثر من الله؛ كما فعل تلميذ بولس الرسول الذي كتب عنه الرسول: «دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ...» (٢تي ٤:١٠). وهناك أيضًا من يقاومون الحقَّ: بشتم وإهانة خدَّام الله الذين يدعونهم للعرس، وآخرون يعترفون أو يوافقون ويُلبُّون الدعوة ظاهريًّا، ولكنهم لا يقبلونها في قلوبهم، لأنَّ لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوَّتها.

فها الحكمة تدعو محبيها للوليمة، ولكن قليلون هم من يستجيبون ويفرحون بدعوتها، فيُلبُّون النداء. ولكن هناك أيضًا حكماء يطلبون الحكمة، وينتظرون أن يشتركوا في هذه الوليمة وهذا العرس، كمثال ملكة التيمن التي جاءت بهداياها لتنظر حكمة سليمان، وها هنا أعظم من سليمان يدعونا إلى عرسه. فالاعتفاء ورفض الوليمة كان هو السمة الغالبة على كثير من المدعوِّين (في هذا المَثَل)، ولم تنجح معهم كلُّ محاولات الترغيب وطول الأناة واللطف، ولا حتى التنبيه لإقناعهم بالحضور، فصَدَق عليهم القول: «وَبِمَنْ أُشَبِّهُ هذَا الْجِيلَ؟ يُشْبِهُ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي الأَسْوَاقِ يُنَادُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ويقولون: وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطِمُوا!... وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا» (مت١١: ١٦–١٩). إذن فليس كلُّ من هو مدعوٌّ سيقبل نعمة الله لكي تقدِّسه؛ بل قليلون هم الذين يتجاوبون، فيصير لهم ثوب (الحياة المقدَّسة)، ويتأهَّلون للعرس بثياب لائقة بهذا المحفل السمائي.

ما هو لباس (ثوب) العرس؟

كما ذكرنا في البداية، نكرِّر أنَّ ثوب العرس هو هبة مجانية يعطيها صاحب العرس

للمدعوِّين، وليس له أي علاقة بالأعمال أو السلوك أو البرِّ الشخصي لأيٍّ منهم. كما أنَّ عدم ارتدائه يمثِّل إهانة شخصية وعدم اعتبار لصاحب العرس، وليس للمدعو أيُّ عذر في عدم ارتدائه. أمَّا من جهة توصيف وشرح ماهية هذا الثوب أو اللباس الخاص بالعرس؛ فقد أسهب الآباء في الحديث عنه من زوايا متعدِّدة، وجميعها جيِّد وصحيح، مما يؤكِّد ثراء واتساع الإدراك الروحي لمعنى "لباس العرس"، الذي يحمل الكثير من المعاني الروحية. وفيما يلي أهم وأشهر المعاني عن "لباس العرس":

١- **ثوب بر المسيح** (الذي نناله في المعمودية): إنَّ ثوب العرس الذي يلزم أن يرتديه المدعو إلى عرس الملك، في الوليمة السمائية، هو برُّ المسيح المجَّاني الذي يهبه لنا الآب السماوي بالإيمان والمعمودية المقدَّسة، باسم الثالوث القدوس، ففي هذه المعمودية ننال استحقاقات شركة الموت والقيامة مع المسيح، وكل حقوق التبنِّي، والحياة الأبدية. وهي هبات مجانية لكل من يؤمن بابنه يسوع، وبخلاصه الذي أتمَّه على الصليب من أجلنا. فالآب قد أعدَّ لنا هذا الثوب؛ ثوب برِّ المسيح، لنكتسي به منذ قبولنا لهذا الإيمان، ونوالنا المعمودية المقدَّسة؛ كما يقول الرسول: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غل ٣:٢٧)، وأيضًا: «لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رو ١٠:٤)، وكذلك قول بولس لأهل كورنثوس: «... لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو ٥:٢١). وكلُّ خاطئ لا يقبل في حياته برَّ المسيح، سوف يُسأل كيف دخل إلى العرس! فيسوع يدعونا لكي نلبس ثوب برِّه الحقيقي، والحفاظ على هذا الثوب بالحياة الطاهرة والسيرة المقدَّسة، اللائقة بهذا الثوب البهيِّ، لنكون أهلًا للجلوس على مائدته في ملكوته. ويُذكِّرنا بولس الرسول بما نلناه في المعمودية المقدسة من نعمة التجديد والاكتساء بثوب برِّ المسيح، حتى نصونه ونحفظه، فيقول: «لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا» (١كو ٦:١١).

إذن، المسيح قد أعدَّ لنا هذا اللباس الذي يكسونا به في يوم عرسه، وهو برُّه وقداسته، فإن نحن استبدلناه ببرِّنا الذاتي يصير كخِرقة نجسة (راجع: إش ٦٤:٤)، ولكن الذين بيَّضوا ثيابهم في دم الخروف (انظر: رؤ ٧:١٤)، هؤلاء الذين اكتسوا ببرِّ المسيح، وحفظوا ثيابهم من دنس العالم ليضيئوا بنور سيِّدهم، سيكونون في فرح دائم،

واستحقاق للشركة مع العريس في عرس مجده.

٢– **ثوب التوبة والغفران** (الذي نناله بالتوبة والإيمان): يدعونا الربُّ يسوع لنأتي إليه مقدِّمين له توبة نقيَّة، حتى نقدر أن نلبس ثوب الغفران وبرَّ المسيح، وذلك بحياة مقدَّسة، ونفس منسكبة أمام الله ليرفعها إلى استحقاق عرسه. فالإيمان والتوبة يُلبِسان الإنسان ثوب القبول والغفران والتبرير؛ مثلما حدث مع الابن الضال، الذي برجوعه وتوبته، نال مكانة البنين مرة أخرى، ولبس الحُلَّة الأولى، كما ذكرنا. ويقول كاتب كتاب "أمثال المسيح" إنَّ الرابي أليعازر (نهاية القرن الأول) كان يُعلِّم قائلًا: [تُبْ يومًا قبل موتك. فسأله تلاميذه: ولكن كيف يمكن للمرء أن يعرف يوم موته؟ أجابهم: هذا مدعاة له لكي يتوب اليوم، لأنه قد يموت غدًا، ثم أضاف قائلًا: [إنَّ الثوب اللائق للوليمة هو التوبة، فالبسه قبل فوات الأوان (يومًا قبل الموت) فالويل لمن لم يستعد بالتوبة][(١)]. كذلك فإنَّ الأمم لما آمنوا ودخلوا الكنيسة، كان لا بد أن يحتفظوا بنقاء حياتهم مع الله، بالاستمرار في حياة التوبة، لتكون لهم الحياة النقيَّة، وهي الثياب الملائمة للعرس، أي الوجود في الكنيسة التي على الأرض، والامتداد بها إلى الأبد[(٢)].

٣– **المحبة ثوب العرس:** يقول القديس غريغوريوس الكبير: [من يأتي إلى وليمة العرس بدون ثوب العرس، إنَّما ذاك الذي له إيمان بدون حُبٍّ][(٣)]. ويقول أيضًا: [إنَّ الثوب الملكي للعرس إنما يُنسَج بين عارضتين، هما محبة الله ومحبة القريب. فالحبُّ هو طبيعة تتَّسم بها النفس. ولا تقدر أن تفصل محبة الله عن القريب، ولا محبة القريب عن الله][(٤)]، كما يقول أيضًا: [بحق تُدعَى المحبة ثوب العرس، فقد التحف بها خالقنا عندما جاء إلى عرسه مع الكنيسة][(٥)]. أمَّا القديس يوحنا ذهبي الفم فيقول: [المحبة هي الثوب الملوكي الذي يلتحف به الإنسان، فيصير كملكة تدخل إلى العرس لتلتقي بالملك

---

(١) أمثال المسيح – كوستي بندلي ص ١٠٣.

(٢) الموسوعة الكنسية في تفسير العهد الجديد – ص ٢١٤.

(٣) تفسير الكتاب المقدَّس العهد الجديد – إنجيل متى – القمص تادرس يعقوب ملطي، ص ٤٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

السمائي، ولا يقدر أحد من رجال البلاط أن يعترض طريقها][٦]. ونأتي للقديس أغسطينوس الذي يقول: [الثوب في وصيَّة واحدة يلتزم بها المسيحي هي (المحبة)... إنَّ غاية الوصيَّة هي المحبة... ليكن لكم الإيمان العامل بالمحبة فإنَّ هذا هو ثوب العرس... لتصير فينا المحبة كاملة ولننتَعِش فتتكمَّل داخلنا، بهذا نرتدي ثوب العرس[٧].

٤- ثوب الخلاص والمجد: يترنَّم إشعياء قائلًا: «فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدِ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا» (إش ٦١:١٠). فثوب الخلاص هو ذاك الذي يُلبِسه الآب للمخلَّصين، فهو رمز الحياة التي لا تشيخ ولا تفنى، ومثال المجد الموهوب من الله للجماعة التي قبلت برَّه، وآمنت بعمله وخلاصه، ووهبت حياتها لمجد اسمه. ويكتب عن هذه الثياب القديس يوحنا الرائي فيقول: «أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ» (رؤ ٣:١٨).

٥- **ثوب نعمة الروح القدس والإنسان الجديد:** يقول القديس هيلاري أسقف بواتييه: [ثوب العرس هو نعمة الروح القدس، والبهاء الذي يضيء الحالة السماوية التي يتقبلها بالاعتراف الصالح الذي للإيمان، فيصير المؤمن بلا دنس ولا عيب إلى اجتماع ملكوت السموات][٨]. كما يقول أيضًا القديس يوحنا ذهبي الفم: [إنَّ ثوب العرس هو الحياة الداخلية المقدَّسة، والمُعلَنة في التصرفات العملية للإنسان]. فما نلناه في المعمودية، بتغيُّرنا إلى صورة خالقنا، يُلزِم المؤمن بالحفاظ عليه، ناميًا في كلِّ نعمة بالروح القدس، خلال حياة التوبة والجهاد الروحي، المسنود بنعمة الروح القدس: «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أف٤:٢٤).

٦- **ثوب الحياة المقدَّسة وإكمال الوصايا:** من المؤكَّد أنَّ الدعوة لم تكن بسبب جدارة منَّا، بل هي نعمة من الله؛ ولكن من الضروري أن نردَّ على هذه النعمة بالمَثَل، وألاَّ نُظهِر بعد هذه الكرامة شرًّا عظيمًا، بإهمالنا للثوب الذي لبسناه، بل علينا أن ننقِّيه دائمًا،

---

(٦) المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(٧) المرجع السابق ص ٤٦١ وما بعده.

(8) Catena. Aurea.

ونحافظ على طهارته بالحياة المقدسة، وذلك لن يتأتَّى سوى بحفظ وصايا الربِّ بكلِّ اجتهاد وأمانة. والقديس يوحنا ذهبي الفم يوضِّح لنا أنَّ الحياة المقدَّسة والممارسة الحقيقية لوصايا الربِّ هي هذا الثوب الذي للعرس؛ إذ يقول: [إن كانت الدعوة من النعمة، فلماذا يُطلَب منَّا حسابٌ صارمٌ؟ لأنه حتى لو كان من النعمة أن تُدعى وتُطهَّر، فمع ذلك، عندما تُدعَى وتُكسى بملابس نظيفة، يكون الاستمرار بالمحافظة عليها هو من اجتهاد المدعوِّين][٩]. والقديس جيروم أيضًا يقول عن هذا الأمر: [ثوب العرس هو وصايا الربِّ، والأعمال التي تتمِّم الناموس والإنجيل، فتصير ثوبًا للإنسان الجديد، ومن يوجد يوم الحُكم حاملًا اسم (مسيحي) وليس عليه هذا الثوب يُدان][١٠].

موقف غير اللابسين لباس العرس:

إنَّ معنى «ليس عليه ثياب العرس»، لا تفترض فقط مجرد عدم لبسه ثياب العرس، بل إنها تشير كذلك لأولئك الذين دخلوا إلى العرس بثياب متَّسخة؛ بمعنى أنْ يرحل المرء من هذه الحياة بحياة نجسة وغير مرضيَّة أمام الله. وعندما يفحص الملك المدعوِّين، ويرى مثل هذا الإنسان، فلن يسأله عن ثيابه المتَّسخة؛ بل سيقول له: "كيف دخلت إلى هذا المكان؟"، إذ إنه ليس المكان المناسب له! حينئذ سيصمت ولن يقدر أن يجيب، وسيُحكم عليه بالطرد إلى الظلمة الخارجية، حيث لا يوجد وقت للاعتذار. ويقول أيضًا العلاَّمة أوريجانوس: [من يخطئ ولم يتجدَّد ولا لبس الربَّ يسوع المسيح، ليس له عذر، لذلك قيل: «سَكَت»][١١]. إذن، فتسويف العمر باطلًا، وعدم تقديم توبة صادقة مستمرَّة، سوف يضيِّع على الإنسان فرصة حفاظه على ثوب النعمة الذي وهبه له المسيح، مجانًا ونظيفًا طاهرًا في يوم معموديته، وبالتالي لن يقدر أن يحضر عرس ابن الملك. كما إنه من الواجب علينا أن نعدَّ أنفسنا لهذا العرس، متزيِّنين في أنفسنا بزينة الروح القدس الوديع، نابذين كلَّ اهتمام بالزينة الأرضية والخارجية، لئلاَّ نوجد عراة في يوم الحُكم.

---

(٩) هذه إشارة إلى المعمودية التي بها نغتسل من خطايانا، ونلبس الإنسان الجديد بنعمة الله، لا باستحقاق منَّا. ولكن المحافظة على هذه الحياة الجديدة والملابس الجديدة منوطة بجهادنا الروحي. (شرح انجيل متى)- ق. يوحنا ذهبي الفم - د. عدنان طرابلسي. الجزء ٤ ، ص ٢٠.

(10) Catena. Aurea.

(11) P.G.13:1524.

بحث تاريخي

دير المحرق
حضارة وتاريخ وتراث

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

شُيِّد دير السيدة العذراء المحرَّق بجبل قُسقام، ويُعرف مختصرًا بدير المحرَّق. هو دير مسيحى يتبع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ويبعد ١٢ كيلومترًا تقريبًا عن مدينة القوصية بمحافظة أسيوط. وقد أُتيحت لى زيارة هذا الدير العتيق أثناء حضوري المؤتمر الدولي السادس للمسيحية والرهبنة القبطية بدير المحرَّق بأسيوط (٤ - ٨ فبراير ٢٠١٣م)، وكان بعنوان:

"Christianity and Monasticism in Middle Egypt: The Region from al-Bahnasa (Oxyrhynchus) to Dayr al-Ganadla".

حيث ألقيت أنا في هذا المؤتمر الهام بحث باللغة الإنجليزية بعنوان:
"**Christianity and Monasticism in Al-Bahnasa (Oxyrhynchus) according to Arabic Sources**".

الشكل رقم ١. قداسة البابا تواضروس أثناء إلقاء كلمته فى المؤتمر الدولى السادس للمسيحية والرهبنة القبطية بدير المحرق بأسيوط (فبراير ٢٠١٣).

كما تقابل العلماء والباحثون المشاركون في هذا المؤتمر العلمي مع البابا تواضروس وذلك في أعقاب اختيار قداسته بطريرك الكرازة المرقسية مباشرة (الشكل رقم ١). ومن أهم باباوات دير المحرَّق البابا غبريال الرابع وهو البطريرك القبطي رقم ٨٦ (١٣٧٠-١٣٧٨م). ويعتبر كل من الأنبا ثاوفيلس (١٩٠٥-١٩٢٩م) والأنبا بطرس (١٩٢٠-١٩٥١م) من أهم الأساقفة الذين تم اختيارهم من رهبان دير المحرَّق.

أسماء دير المحرَّق:

ويعرف الدير باسم دير العذراء بالمحرَّق حيث شُرِّف بزيارة العائلة المقدَّسة التي يُعتَقد أنها استقرت في مغارته السفلية قرابة ستة أشهر قبل عودتها إلى مدينة الناصرة في فلسطين وفقًا للتقليد القبطي الأرثوذوكسي. وكانت تُحرَق بجواره الحشائش والنباتات الضارة بعد تجميعها في منطقة واحدة عُرفت باسم المنطقة المحترقة أو المحروقة، لذا أُطلق على الدير اسم المحرَّق بسبب قُربه من المنطقة المحترقة.

ويُعرف دير المحرَّق كذلك باسم دير جبل قُسقام. ويُعتقد أن اسم قسقام مشتق من اللغة المصرية القديمة حيث يتكوَّن من مقطعين وهما: "قس" وهو اسم مدينة غير موجودة حاليًا وكانت عاصمة الإقليم الرابع عشر في مصر العليا، ولم يتبقَّ منها غير البربا **πιερφει** وتعني "المعبد". كما يُقصد بها أيضًا من الناحية الدينية المكان العلوي. أما معناها في الحياة اليومية فهو تكفين أي تكفين الجثة وتجهيزها للدفن وتحنيطها. أما الجزء الثاني من كلمة قسقام "قام" فهو اسم منطقة كانت موجودة في غرب الإقليم الرابع عشر. ودينيًّا، يُقصد بهذا الاسم "اللانهاية".

الدير في البرديات والمصادر التاريخية وكتابات الرحالة والعلماء

وفى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، ذُكِر هذا الدير الأثري الهام في مؤلف أبو المكارم. كما أشار إليه المؤرِّخ المملوكي المقريزي في مؤلفه المنشور سنة ١٨٥٣. وكتب كثير من العلماء والباحثين والرحَّالة الأجانب عن دير المحرَّق وعمارته ومبانيه المختلفة مثل J.M. Vansleb (١٦٧٨)، E.M. Quatremère (١٨١٢)، E.F. Jomard (١٨٢١) في المجلد الرابع من كتاب وصف مصر ***Description de l'Égypte***، H. Zotenberg (١٨٧٧)، M. Guidi (١٩١٧)، U. Monneret de Villard (١٩٢٨)، E.A.W. Budge (١٩٢٨)، V. Buri (١٩٣١)، E. Cerulli (١٩٤٣)، F. Muyser (١٩٤٤)، H. Munier (١٩٤٨)، O.G.S. Crawford (١٩٥٨)، G. Troupeau (١٩٧٤)، C. Sicard (١٩٨٢)، R.G. Coquin & Maurice Martin S.J. (١٩٩١) و Bishop Gregorios

كما وردت الإشارة إلى هذا الدير الأثري في بعض المخطوطات الحبشية لا سيما ما حدث من عجائب ومعجزات وقت تشييده في القرن الرابع الميلادي. ولدير المحرَّق مكانة خاصة وقدسية كبيرة وشأن عظيم في نفوس الأحباش لا سيما بعد أن أصبحت الحبشة من الإيبراشيات التابعة للكرسي المرقسي بالإسكندرية حيث كان الحبش يعتبرون مصر أورشليم الثانية، فوفدوا إليها لزيارة الأماكن التى شُرِّفت بزيارة العائلة المقدَّسة في مصر. وقد عُثِر على إشارة تاريخية من القرن الرابع الميلادي تؤكد وجود الأحباش في دير المحرَّق في نهاية هذا القرن. كما امتلأت أديرتهم الأثيوبية بنفائس المخطوطات التى تشير إلى معجزات السيدة مريم العذراء في هذا الدير التاريخي الهام.

وأكد أحد العلماء الغربيين على وجود ما يقرب من ثلاثين من الرهبان والقسيسين والشمامسة الأحباش في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. كما يُعتَقد أن الراهب أرسانيوس الحبشي قد عاش في أيام البابا متاؤس الكبير (١٣٧٨ - ١٤٠٨) في هذا الدير.

وبالدير نسخة من الأناجيل التى أرسلها الملك الحبشي صايفا أراد كهدية لرهبان دير المحرَّق. وعندما زارت الملكة الأثيوبية منتواب دير المحرَّق في خلال القرن الثامن عشر الميلادي، أخذت منه ترابًا استخدمه فيما بعد ابنها إياسو في بناء كنيسة جبل قسقام في إقليم جوندرا بأثيوبيا سنة ١٧٣٨.

تاريخ الدير واكتشافه:

يرجع تاريخ دير المحرَّق إلى القرن الرابع الميلادي تقريبًا، ويعتقد أن القديس باخوميوس هو من قام بتشييده. وقد تجمَّع في هذا الموقع الأثري أوائل النساك الأقباط الذين كانت لهم صلة بالقديس أنطونيوس الكبير ثم بعد ذلك بالقديس باخوميوس مؤسِّس حياة الشركة. وأصبح هناك تنوع في التعاليم الدينية لذا كثرت الأديرة الأنطونية إلى جانب التوسع في تشييد الأديرة الباخومية في ربوع مصر وقراها ومدنها المختلفة. وشيَّد القديس باخوميوس تسعة أديرة للرهبان وديرين للراهبات في المناطق الواقعة ما بين أخميم وإسنا.

ووفد بعض تلاميذ القديس باخوميوس وأتباعه إلى منطقة دير قسقام في أواخر القرن الرابع الميلادي تقريبًا. وشاركوا سكان المكان في تشييد دير المحرَّق. وكانت حياة رهبان الباخومية قائمة على أنَّ كلَّ شيء مشتركٌ بينهم. كما كانت حياة الشركة تعتمد في الأساس على البساطة والزهد وعدم امتلاك أية ممتلكات. كما تركزت الحياة الروحية للرهبان على الصلاة المستمرة وسر الإفخارستيا وتعاليم الكتاب المقدس. وقد عاش النساك والرهبان الأوائل في قلايات منفردة ثم في منشوبيات ثم بعد ذلك في داخل الأديرة. كما أعادوا استخدام بعض المعابد المصرية القديمة للسكن وللتعبد بعد أن أجروا بها بعض التعديلات المعمارية لتتناسب مع متطلبات العقيدة المسيحية كبناء كنائس للصلاة وبناء قلالي لسكن الرهبان.

الشكل رقم ٢. حصن دير المحرق. تصوير أ.د./ شيرين صادق الجندي (فبراير ٢٠١٣)

أما عن الحياة في دير المحرَّق، فكان لها طابع خاص منذ القرن الأول الميلادي. فكان هذا الدير مفتوحًا دائمًا لكل الوافدين إليه طلبًا للشفاء ونيل بركة العائلة المقدسة.

المباني المعمارية بالدير:

ويتكون هذا الدير من السور الخارجي الذي يحيط بكل مبانيه الأثرية الجميلة بالإضافة إلى المدخل الرئيسي. ويوجد بهذا الدير كذلك حصن (الشكل رقم ٢–٣) وكنيسة أثرية وقلايات قديمة وأخرى حديثة للرهبان. وخُصِّصت كنيسة القديس يوحنا المعمدان للرهبان الأحباش لصعوبة صلاتهم باللغة القبطية. وبعد إزالة هذه الكنيسة، بُنِيت كنيسة الأحباش في مكانها في القرن التاسع عشر الميلادي. وأُطلق عليها كنيسة القديس تكلا هيمانوت الحبشي. وله هيكل موجود حتى الآن في الكنيسة المعلقة للسيدة مريم العذراء بمنطقة مجمع الأديان أو مصر القديمة بالقاهرة.

الشكل رقم ٣. داخل حصن دير المحرق. تصوير أ.د./ شيرين صادق الجندي (فبراير ٢٠١٣)

وفى سنة ١٩٣٦، أزيلت كنيسة الأحباش. وبعد بناء كنيسة العذراء الجديدة، كرس رئيس الدير السابق قزمان واحدًا من مذابحها الثلاثة باسم القديس تكلا هيمانوت الحبشي لدعم أواصر المحبة والمودة بين أقباط مصر والأثيوبيين. وفى عام ١٩٨٨، احترقت الكنيسة. كما تعرض دير المحرَّق لهجوم إرهابي في ١١ مارس سنة ١٩٤٤ مات خلاله بعض الرهبان الأقباط أثناء تصديهم للهجوم.

الشكل رقم ٤. مذبح كنيسة دير المحرق. تصوير أ.د./شيرين صادق الجندي (فبراير ٢٠١٣)

ومؤخرًا، تجدَّدت عمارة الكنيسة الأثرية بدير المحرَّق. ويرتفع مستوى أرضيتها عن مستوى أرضية الدير، لذا يتم الصعود إليها بواسطة سلم. وتتميز كنيسة الدير بمذبحها غير التقليدي (**الشكل رقم ٤**) والذي تظهر عليه بعض الكتابات القبطية. وجميع أجزاء الأثاث الكنسي بها جديد (**الشكل رقم ٥**). كما يوجد بداخلها مجموعة من الأيقونات النفيسة التى تزينها موضوعات دينية ذات صلة وثيقة بالمسيحية وبأشكال السيدة العذراء وبالأخص تلك الأيقونة التى أهدتها الحاجة صبيحة إلى كنيسة دير المحرَّق وتظهر السيدة العذراء **Theotokos** بملابسها الطويلة الواسعة وهى تحمل الطفل المسيح بين ذراعيها.

الشكل رقم ٥. كنيسة دير المحرق من الداخل. تصوير أ. د./ شيرين صادق الجندي (فبراير ٢٠١٣)

الخاتمة

مما سبق، يُستشف عظمة وتنوع الإرث الثقافي والمعماري والفني في دير المحرَّق منذ القرون المسيحية الأولى حتى اليوم مما زاد من أهميته التاريخية والحضارية لذا كان هذا الدير ومازال وجهة الزوار والوفود الكبيرة والرهبان الأجانب وبالأخص الأثيوبيين لما عُرف عن الكنيسة القبطية من استنارة وريادة في حياة الرهبنة والروحانية والحرص على التواصل بين الماضي والحاضر لإلقاء الضوء باستمرار على تاريخها الطويل المتميز.

مفهوم التأله[١]

عند آباء الكنيسة
حتى القرن الخامس الميلادي
رسالة ماجستير

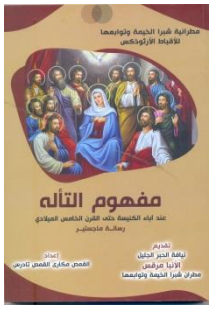

أثار هذا المصطلح كثيرًا من اللغط في السنوات الماضية، وحُمِّل بأكثر من معناه، وفُهم أنه بهذا يتشارك المؤمنون في الجوهر الإلهي! لذلك خَشَى المتحفظون إساءة استخدامه، مع أن هذا التعبير هو آبائي صرف استخدمه الآباء الأولون كثيرًا في كتاباتهم.

يبدأ الفصل الأول من الكتاب بالسؤال: ما هي دوافع الله في خلقة الإنسان: والإجابة هي في كلمة واحدة هي صلاح الله ومحبته. فالخلق كان لأجل الإنسان وليس لأجل الله. فعندما سقط الإنسان فَقَدَ شركته مع الله وفسدت طبيعته وتعرَّت من النعمة.

في الفصل الثاني يورد الكاتب نصوصًا تذكر كيف فهم آباء الكنيسة الأوائل هذا المفهوم؛ فهو تحقيق الشبه الإلهي فينا، هو أن نشبع بالله ونحمله، فيصير مُعلنًا فينا وبنا فنكون له عرشًا له نحمله للعالم. التألُّه يُقصد به البنوة لله بالنعمة، ولكن المسيح هو الابن الحقيقي. التألُّه هو نهضة البشرية من بعد سقوطها. وأخيرًا التألُّه هو الشركة والاتحاد بالله.

في الفصل الثالث يقول الكاتب إن المسيح حقَّق للإنسان معاني التألُّه، أي استعادة الصورة الأولى التي فسدت. استعادة الحياة الأبدية بعد أن فقدها. استعادة السلطان على إبليس والخطية. استعادة الشركة المفقودة بين الإنسان والله. تجديد الطبيعة الساقطة ورفعها إلى المجد. وأخيرًا يصير الإنسان ابنًا لله...

الفصل الرابع يُحدِّثنا عن الروح القدس، فهو الذي يُتمِّم معاني التألُّه في المؤمنين، ويُجدِّد خلقتنا ويختم الشَبَه الإلهي فينا، والمجال الرئيسي لعمله هو في أسرار الكنيسة.

أخيرًا إن هدف التألُّه هو تحقيق صورة الله في الإنسان، وإمكانية الاتحاد بالله. وقد استخدم كثير من الآباء هذا التعبير الأخير خشية من فهم التألُّه حرفيًّا، بمعنى تأله جوهر الناسوت..

---

(١) تقديم نيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس مطران شبرا الخيمة وتوابعها وإعداد القمص مكاري القمص تادرس. والكتاب هو رسالة ماجستير للمؤلف سنة ٢٠٢١. وتكونت لجنة مناقشة الرسالة من السادة: أ. د. القس بيشوي حلمي (رئيسًا ومشرفًا)، أ. د. سعيد حكيم (عضوًا)، أ. د. جورج عوض (عضوًا). وصدر عن مطرانية شبرا الخيمة وتوابعها للأقباط الأرثوذكس ويقع في ٣٠٠ صفحة. ويورد في نهاية الكتاب ملخصًا شاملًا باللغة الإنجليزية.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٦ **مايو ٢٠٢٢م.**

العدد ٦٣٤ **برموده / بشنس ١٧٣٨ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

قيامة المسيح أعطتنا إنسانية جديدة ١

مقال للأب متى المسكين

رؤية القيامة ٦

الإينرجيا الإلهية ١١

الإفخارستيا سر الوحدة ١٨

من التراث الكنسي:

لا توجد أعضاء بدون أهمية ٣٠

ادخل إلى العمق (٢٣):

لباسُ (ثوب) العُرس ٣٧

بحث تاريخي:

دير المحرق حضارة وتاريخ وتراث ٤٤

تقديم كتاب:

مفهوم التأله عند آباء الكنيسة ٤٩

مقال بالإنجليزية:

ثبّتوا نظركم في المسيح ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس أنبا مقار الكبير

النار الإلهية والقيامة

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✞❁

[إنَّ نار اللَّاهوت السَّماويّة
الَّتي يَقبلها المسيحيّون الآن في هذا الدَّهر،
في داخلهم، في قلوبهم،
هذه بعينها الَّتي تخدم في قلوبهم،
سوف تندفق إلى خارج حينما تنحلُّ أجسادُهم،
فتَجمع الأعضاءَ مرَّة أخرى،
مُنشئةً قيامةً في الأعضاء الَّتي كانت قد انحلَّت (...)
فأجسادنا الملازمة لنا،
الَّتي بعد انحلالها تستحيل طينًا،
ستعمل فيها النَّارُ السَّماويّة
وتُجدّدها وتقيمها من بعد فساد.
وهكذا فإنّ النَّار السَّاكنة الآن في داخلنا، في قلوبنا،
سوف تندفق إلى خارج منشئةً قيامةً لأجسادنا
إنّ نار الأتُّون أيامَ نبوخذنصّر لم تكن إلهيّةً بل مخلوقة،
أمَّا الفتية الثَّلاثة الَّذين من أجل بِرِّهم
طُرِحوا في تلك النَّار المنظورة،
فقد كانوا حائزين في قلوبهم على النَّار الإلهيّة السَّماويّة (...)
كذلك أيضًا النُّفوس الأمينة تَقْبَل خُفيةً،
الآن في هذا الدَّهر، تلك النَّارَ الإلهيّة السَّماويّة
الَّتي بدَوْرها تَصُوغ صُورةً سماويّةً
على طبيعتهم البشريَّة.].

عظة ١١: ١ - ٢

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
و ٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

ثمن النسخة عشرة جنيهات
الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:
١٢٠ جنيهًا: داخل مصر
٤٠٠ جنيهًا: في البلاد العربية
١٠٠ دولاراً أمريكيًا: في البلاد الأخرى
يُسدد بموجب شيك يحرَّر باسم:
St. Mark, *Monthly Review*
(والمجلة تقبل مع الشكر أي اشتراك تعضيدي يزيد عن هذا الحد الأدنى).

■ **غير مسموح بإعادة نشر مقالات مجلة مرقس بدون إذن كتابي من إدارة المجلة.**

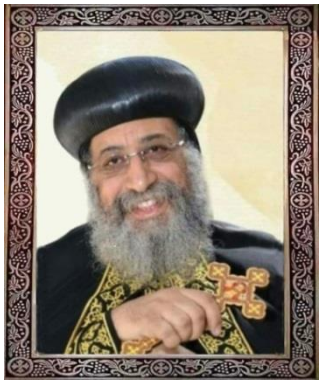

الافتتاحية

قيامة المسيح أعطتنا إنسانية جديدة

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني[١]

المسيح قام ... بالحقيقة قام ... إنها تهنئة القيامة المجيدة والتي تعيِّد بها جميع كنائس العالم. لقد خَلَقَ الله العالَم في كل نوع من النباتات والحيوانات والطيور أعدادًا كثيرة، وكذلك من الأسماك ومن الزواحف من كل شيء، أمَّا عندما خلق آدم فقد خلقه منفردًا متميزًا، خلقه على صورته ومثاله، ذا ضمير صالح ... وقلب طاهر ... وعقل متميِّز. وهذه الثلاثة تميز الإنسان عن باقي المخلوقات، وكان آدم يتمتع بالعيش في الجنة مع حواء متمتِّعًا بالحضور الإلهي الدائم، ولكن بدخول الخطية عن طريق الحيَّة حُكِمَ على الإنسان بالموت، وصار هناك احتياج إنساني للقيامة، وبتجسُّد السيد المسيح وموته وقيامته «أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢: ٦). وصرنا بقيامته نتذوَّق السماء ونحن ما زلنا على الأرض وقامت فينا ما تميَّزت به إنسانيتنا:

أولًا: قيامة الضمير أي الإحساس بالآخر:

منذ بدء الخليقة والإنسان يعيش الأنا، يحب نفسه فوق الجميع، آدم الإنسان الأول برَّر خطيته وقال لله: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي ...» (تك ٣: ١٢)، قايين قال: «أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» (تك ٤: ٩)، ويعقوب سرق بكورية أخيه، وأبشالوم أراد أن يسرق المُلْكَ من أبيه داود، وعندما أرسَل الله يونان لشعب نينوى خاف أن يتوبوا فلم يرضَ أن يذهب إليهم وعاند نداء الله له. إلى أن وُلِدَ المسيح، فأراد هيرودس الملك قتله لئلَّا يأخذ كرسيه ... وهاجمه اليهود معتقدين أنه مَلِكٌ أرضيٌّ، لكنه أعلَنَ قائلًا: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ» (يو ١٨: ٢٦)، وبدأ يضع تعليمًا جديدًا للإنسانية، ثم أراد الفريسيون

(١) نص العظة التي ألقاها قداسته في قداس عيد القيامة ٢٤ أبريل ٢٠٢٢.

والصدوقيُّون التخلُّص منه، وأخيرًا قام اليهود بالشكاية عليه، لأنه يُظهِر ضعفهم وأرادوا صلبه، وعندما خيروهم بين باراباس والسيد المسيح اختاروا إطلاق باراباس القاتل!

بعد القيامة استيقظ ضمير البشرية فصارت تبحث عن المساعدة، عن العطاء، عن الخدمة، عن الفرح الحقيقي، ضمير يعلِّي الأخلاق، السلوك، العمل، الاجتهاد، وكما شرح بولس الرسول في (أعمال الرسل ٢٤: ١٦): «لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا أُدَرِّبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ». وقد كتب لأهل كورنثوس قائلًا: «لأَنَّ فَخْرَنَا هُوَ هذَا :شَهَادَةُ ضَمِيرِنَا أَنَّنَا فِي بَسَاطَةٍ وَإِخْلاَصِ اللهِ، لَا فِي حِكْمَةٍ جَسَدِيَّةٍ بَلْ فِي نِعْمَةِ اللهِ، تَصَرَّفْنَا فِي الْعَالَمِ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ نَحْوِكُمْ» (٢كو ١: ١٢).

لقد كان السيد المسيح محاطًا بأشخاص يخافون فقط على مراكزهم أمثال بيلاطس البنطي ورؤساء الكهنة، والشعب الصارخ «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!»، والتلاميذ الهاربين، والتلميذ الذي أنكره وغيرهم. أمَّا بعد القيامة اختفت الأنا وظهر الإحساس بالآخر: فصارت المجدلية تبشِّر وبطرس الرسول يُعلِّم وتلميذ آخر يستضيف السيدة العذراء في بيته وشعب يضع كل أمواله عند أقدام الرسل.

والمثال العملي هو مريم المجدلية: وسُمِّيت بالمجدلية نسبة إلى موطنها الأصلي في المجدل على الساحل الغربي لبحر الجليل، على بُعد ثلاثة أميال إلى الشمال من طبرية. ومجدل معناها في العبرية برج مراقبة. كانت مريم المجدلية بعيدة. مُتعَبَة مما أصابها، أخرج الرب منها سبعة شياطين وشفاها، ومن تلك اللحظة تبعته من الجليل وشاهدت حادثة الصلب، وكانت واقفة عند الصليب حتى النهاية، إلى أن رأت مكان القبر، كل هذا من بعيد!

أمَّا بعد القيامة تغيَّر الوضع، كل التلاميذ كانوا خائفين أمَّا هي وفي فجر الأحد باكرًا جدًّا ذهبت إليه حاملة حنوطًا، لذا استحقَّت أن تكون أول مَنْ رأى الرب القائم، وقد صارت أول كارزة بالقيامة ونقلت الخبر إلى التلاميذ والرسل. مريم المجدلية كانت تحتاج الله في حياتها، كانت تعيش الظلمة وبعد القيامة لم تصبح فقط تعيش في النور بل أيضًا تكرز به، لقد استيقظ ضميرها بعد أن كان غائبًا أو نائمًا.

إن قيامة الضمير تعني الإحساس بالآخر في صور متنوعة منها: ضمير العمل: الضمير الذي لا يتأثَّر بالمصالح، الذي يُعَلِّي العام على الخاص وهو الضمير الذي يجعل الشعوب تتقدَّم

وتحترم الإنسان كيفما يكون ... **ضمير السلوك:** الضمير الذي لا يتأثر بالشهوة بل ضمير إنسانٍ لديه سلوك مستقيم، يميِّز بين الأبيض والأسود – واضح ولا يسير في الرمادي – يسلك بخوف الله مع كل أحد يتعامل معه. **ضمير الخير:** الرحمة والشفقة هي أحد أصوات قيامة الضمير، أن تشعر بأخيك، بجارك، بزميلك في العمل، حتى بالآخر الذي لا تعرفه، وبقيامة المسيح صرنا نرفع شعار: «مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلاَ يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ» (يع ٤: ١٧).

ثانيًا: قيامة القلب ... اتساع القلب بالحب للكل:

كل إنسان لا يحمل الله في قلبه، يكون قلبه ميتًا، ليس فيه حياة لأن الله قال عن نفسه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٦)، وكل قلب بداخله الله يعيش السماء على الأرض.

الإنسانية بقيامة الرب يسوع أصبح لديها مفهوم «تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مت ٢٢: ٣٩) مفهومًا متطورًا تبعًا لوصية السيد المسيح: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يو ١٣: ٣٤)، «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦).

هكذا صار مفهوم المحبة هو البذل والعطاء والغفران ... مفهومًا جديدًا على البشرية، لأن الخطية كانت قد أخفت هذا المفهوم إذ دخلت الخطية إلى العالم ودنَّست خليقة الله وصار الإنسان في حاجة لمَنْ يقيمه، جاء الله متجسِّدًا ليقيمنا من موت الخطية ليثبت لك يوميًّا أن حياتك ثمينة جدًّا عنده: «عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ٦). والمثَال العملي هو بطرس الرسول:

قبل الصلب كان سمعان بطرس من بيت صيدا، عاش في كفر ناحوم متزوِّجًا ويعيش من مهنة الصيد، عاش لمدَّة ٣ سنوات تلميذًا للسيد المسيح، شخصية مندفعة، أحيانًا يرى نفسه الأفضل: «وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا» (مت ٢٦: ٣٣)، قال: "لا يمكن أن أنكرك" لكنه قبل أن يصيح الديك مرتين أنكر الرب يسوع ثلاث مرات وقت الصليب (مت ٢٦: ٧٥). أمَّا بعد القيامة: خجل من السيد المسيح خاصة حين سأله: «أَتُحِبُّنِي؟» فكانت إجابته: «أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ» (يو ٢١: ١٧). (عرف حجم نفسه، عرف احتياجه

الحقيقي) ثم وفي عظة واحدة كسب ثلاثة آلاف نفس (أعمال الرسل ٢). وعمليًّا: حين دخل الهيكل ورأى على باب الهيكل رجلًا أعرج من بطن أُمه يجلس يستعطي، نظر إليه وقال له: «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» (أع ٣: ٦). العطاء الحقيقي هو محبة ومساعدة وقبول الآخر مهما يكن ونحن سفراء القيامة مطلوب منَّا أن نحيا باتساع القلب والذي يعني: **الغفران:** نقول في صلواتنا اليومية: «وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مت ٦: ١٢). وتصير طبيعة فينا أننا نغفر للمذنبين إلينا. **القبول:** نقبل الآخر مهما يكن مختلفًا. يونان النبي لم يقبل أن أهل نينوى يتوبون ويعودون إلى الله ولكن الله قبل الجميع. **المحبة:** الآب في مَثَل الابن الضال (لوقا ١٥) مثال رائع على تقديم المحبة، كما وصفها الكتاب المقدَّس: «الْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا» (١كو ١٣: ٨).

ثالثًا: قيامة العقل ... الرؤية الإيجابية للأمور:

خلق الله الإنسان بعقلٍ مستنير مميِّزٍ لما حوله، آدم باكورة الخليقة استطاع أن يعطي أسماءً لجميع الحيوانات وهذا إبداء، لأنه يبتكر أسماءً غير موجودة في اللغة. لكن حواء دخلت في حوار مع الحيَّة لتقنعها أن الله أعطاها كل شيء وفي لحظة فكرت واقتنعت أن تصير مساوية هي وآدم لله، وفي هذه اللحظة اظلمَّ عقلهما بكلمات الحيَّة وسقطا في الخطية وفقدا الاستنارة.

وخلال رحلة البشرية نجد كثيرين ابتعدوا عن الله بسبب عقولهم المظلمة، ففكر البشر في بناء برج بابل ليَتَحَدُّوا الله ظنًّا منهم أنهم يقدرون ... ثم جاء السيد المسيح ونادى: «مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو ٨: ١٢). وبقيامته أعطانا الله رؤيةً جديدةً للحياة، رؤية إيجابية للأحداث، لقد أوصانا بولس الرسول: «لَا تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ :الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ» (رو ١٢: ٢).

وقصة تلميذي عمواس شاهدة على قيامة العقل: لقد سار تلميذان إلى قرية عمواس التي تبعد قليلًا عن أورشليم وكانا يتناقشان فيما بينهما حول ما حدث في أورشليم يوم القيامة، وظهر لهما السيد المسيح وقصَّا عليه ما سمعاه عن هذا الإنسان النبي المقتدر

في الفعل والقول أمام الله وجميع الناس وكيف صلب ومات وكيف شهد تلاميذه والمريمات أنه قام وأن القبر فارغ، فقال لهما: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» (لو ٢٤: ٢٥ – ٢٧). كان اليهود لهم النظرة الضيقة للخلاص، يعتبرون أن الخلاص لليهود فقط ينتظرون مخلّصًا أرضيًّا من الاستعمار الروماني، وبصلب المسيح وقيامته تغيَّرت كل المفاهيم، في هذا الحوار ظهر لهم مفهوم جديد لكلام التوراة، مفهوم مختلف عن الخلاص في الذهن اليهودي، استنارت عيونهم بالقيامة.

إنه بقيامته حوَّل عقولنا من السلبية المظلمة إلى الإيجابية المستنيرة: **محوِّلًا للمواقف:** كسب المرأة السامرية عندما اعترفت بالحقيقة وقال لها: «هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ» (يو ٤: ١٨)، وفي موقف معجزة إشباع الجموع: «اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَامًا، لأَنَّنَا هُهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ» (لو ٩: ١٢). لكن الرب يسوع حوَّل هذا الموقف العصيب إلى بركة من خمس خبزات وسمكتين لإشباع الآلاف. يمكنك أن تستخدم المواقف الصعبة وتحوِّلها لنجاح، تستطيع أن تكون أقوى من خلال كل ضيقة، عندما يكون لك فكر المسيح الإيجابي.

عقل مبادر للعمل: بدلًا من أن تلعن الظلام أضئ شمعة. نحن لا نشابه العالم في التفكير بل نبحث عن ماذا نستطيع أن نقدِّم للإنسانية، قد رأيت أُناسًا انشغلوا بالسلبيات فلم يحققوا تقدُّمًا بل إنهم حاولوا أن يُعيقوا المتقدِّمين، وأنتَ أين من هؤلاء وأولئك؟ هل تنشغل بما حولنا؟ أم تتقدَّم للعمل؟ **تبني ولا تهدم:** تفكيرك الكثير في الضيقة والمتاعب يفقدك حياتك «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رو ٨: ٢٨). لذلك ابني ثقة مع الآخرين ... ابني جسور محبة ... ابني أعمالًا للوطن. هكذا يكون إنسان القيامة الجديد صاحبَ ضميرٍ صالح وقلبٍ طاهر وعقلٍ مستنير ... وهكذا تكون قيامة الإنسان. لقد قام ليمنحنا هذه القوة الجديدة لحياتنا الإنسانية.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

رؤية القيامة[1]

للأب متى المسكين

إنَّ رؤية القيامة لا تعتمد على قُوَى البصر العادية، وتدخُّل الوعي البشري بمراكزه الحسِّية المعروفة، ولكنها حالة انفتاح الوعي الروحي الذي يستمدُّه الإنسان مما هو فوق الطبيعة من قُوَى غير حسِّية أو مادية، وهي موهبة لا تُعطَى بمعيارٍ واحد للناس، لكن لكل إنسان تُعطَى موهبة الرؤية ليرى بقدر إيمانه واستعداده وخبراته الروحية السابقة. وليس ذلك فقط، بل أيضًا المسيح في حالة قيامته يمكن أن يرتفع بإرادته بحالة من الشفافية، فلا يُرَى على الإطلاق لأيَّة بصيرة روحية، ويمكنه أيضًا أن يُخفِّض من حالة شفافيته حتى يمكن لإنسانٍ عادي أن يراه وكأنه إنسانٌ عادي. كما استخدم المسيح هذه القدرة الفائقة عندما دخل إلى التلاميذ في العلِّيَّة مساء الأحد والكل مجتمعون، دخل والأبواب مُغلَّقة بقدرة شفافيته الفائقة وظهر أمامهم بجسده العادي، ذلك بعد أن خفَّض من شفافيته تمامًا؛ ذلك بعد أن أخفق الكثيرون في التعرُّف عليه وهو في حالة قيامته الفائقة.

وإمعانًا في تعريفهم بالقيامة الحقيقية لجسده الحقيقي أراهم جسده: «جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ. وَلَمَّا قَالَ هذَا **أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ** (في وضعهما الطبيعي تمامًا)، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ١٩،٢٠). ثم عاد بعد أسبوع، وفي نفس الميعاد والمكان، وظهر خصيصًا لتوما الذي لم يكن قد رآه في الأسبوع السابق: «ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: **هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي،** وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا. أَجَابَ تُومَا (بعد أن وضع يده ولمس جروح الجسد) وَقَالَ لَهُ: رَبِّي وَإِلهِي. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو ٢٠: ٢٧-٢٩).

بل وظهر مرَّةً أخرى بجسده الطبيعي محسوسًا بلحمه وعظامه، ذلك بعد أن خفَّض

(١) من كتاب: "الإنجيل بحسب القديس مرقس – دراسة وتفسير وشرح"، الطبعة الأولى: ١٩٩٦، من ص ٦٢٧ – ٦٣١.

المسيح من شفافيته نهائيًّا، فبدا إنسانًا عاديًا: «وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا **وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ** فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ **اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ** (والجروح التي فيها)، **إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا**، فَإِنَّ الرُّوحَ (الشفاف) لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هذَا **أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ**» (لو ٢٤: ٣٦-٤٠). بل وأعطاهم المسيح تأكيدًا أنه قام بجسده وكل ما للجسد الطبيعي من إمكانيات حتى الأكل والشرب هكذا:

+ «وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟ فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ» (لو ٢٤: ٤١-٤٣).

هذا هو الدخول الكامل في حالته الأُولى بعد أن خفَّض المسيح من شفافيته نهائيًّا.

بهذا يكون المسيح قد **أعلن ما هو جسد القيامة، إذ برهن لهم أنه جسده الأول تمامًا بكل إمكانياته، ولكنه في حالة تجلٍّ كامل وشفافية فائقة. فهو لا يُرى ويُرى، بآنٍ واحد، وذلك بحسب إرادة المسيح وقدرة الإنسان على الرؤية. بمعنى أنها حالة جديدة متطوِّرة من الحالة الطبيعية الأُولى إلى حالة فائقة للطبيعة ذات مواصفاتٍ جديدة وإمكانياتٍ روحية فائقة للغاية.**

وقد أمكن للمسيح أن يظهر بحالة طبيعية، ولكنه أخفى نفسه عن عيون تلميذَي عمواس فلم يعرفاه، وإن كانا قد أحسَّا به في قلبيهما: «وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ **أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ**» (لو ٢٤: ١٥،١٦). وبعدما كلَّمهما ووبَّخهما على عدم إيمانهما، دخل معهما بيتهما، «فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا، **فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا**، فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ :أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟» (لو ٢٤: ٣٠-٣٢)

ففي هذه القصة التي لتلميذَي عمواس، مرَّ جسد المسيح المُقام بحالة الشفافية الكاملة والنصف شفافية والحالة الطبيعية جدًّا. كذلك التلميذان مرَّا من عدم رؤية تمامًا، لنصف

رؤية مع حساسية، لرؤية كاملة، فاختفى عنهما لمَّا بلغ حالة الشفافية الكلِّيَّة ثانية.

ولكن عبورًا بحالة الإفخارستيا التي عملها المسيح في بيت تلميذَي عمواس، نُدرك أنَّ عند **كَسْر الخبز يُستعلَن المسيح لذوي العيون المفتوحة، وهذا هو سرُّ القيامة الأعظم.** عند عديمي الإيمان بالمسيح وقيامته وإمكانياته الهائلة، يبدو خبزًا ساذجًا وخمرًا ساذجًا وكأنها حالة عدم قيامة؛ وعند ذوي الإيمان بسرِّ المسيح والقيامة، فهي حالة قيامة. فالخبز خبز والخمر خمر، ولكنهما جسد ودم في حالة قيامة، أي في حضرة الرب يسوع مُقامًا من بين الأموات.

وهناك أيضًا حالة ظهر فيها المسيح بوضعه الطبيعي بدون شفافية وأخذ يُكلِّم تلاميذه عن حلول الروح القدس ونوال قوة من الأعالي، وبعد أن أكمل كلامه انتقل إلى حالة الشفافية ثم ما فوق الشفافية فلم يَرَوْه: «وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (حالة نصف شفافية)، وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ (فوق الشفافية)» (أع ١: ٩). ثم بعد ذلك حاولوا أن يَرَوْه عبثًا:

+ «وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، وَقَالاَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي **ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ** سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١٠،١١).

ثم مرَّة أخرى ظهر المسيح (لشاول الطرسوسي) في حالة شفافية منظورة بمجد:

+ «رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ، قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي... سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ. فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَلكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ...» (أع ٢٦: ١٣-١٦).

هنا رُئِيَ المسيح في حالة تجلٍّ كاملة كنور في السماء وتكلَّم مع القديس بولس. فالمسيح في حالة القيامة في كمال شفافيته يُرى نورًا للعين المفتوحة.

من هذا يفهم القارئ أن حالة القيامة وظهور المسيح، هي على درجات؛ وأن قدرة رؤية الإنسان للقيامة، أي حالة المسيح القائم من بين الأموات، أيضًا هي على درجات. لذلك ينبغي على القارئ أن يفهم تمامًا أنه استحالة أن يتفق اثنان على رؤية واحدة للتجلّي حتى ولو ظهر لـ ٥٠٠ شخص مرَّةً واحدة (١كو ١٥: ٦). فلو سألتَ كلَّ واحدٍ من الخمسمائة عن ماذا رأى؟ فسيحكي كل واحد شيئًا غير الآخر. من هنا جاءت أخبار القيامة في الأناجيل الأربعة متفاوتة في الوضوح والكلام والتعبير وحتى لغة الكلام نفسها. لأن تسجيل الأناجيل الأربعة للقيامة هي حالة دخول في مستوى ما فوق الطبيعة الذي لا تدخل فيه قُوَى الفكر والفهم والتمييز والرؤية الطبيعية للإنسان.

ولكن الذي يهمُّنا في معرض الشرح عن القيامة أن نكشف للقارئ عن ما هي القيامة؟ فالقيامة حالة الوجود الحقيقي الثابت غير المتغيِّر غير الزائل الأبدي!! أمَّا الوجود البشري في العالم فهو حالة وجود غير حقيقي لأنه متغيِّر وزائل، فهو وجود ظاهري محسوس ومرئي، **فهو إن لم يتحوَّل إلى قيامة فهو متغيِّر حتمًا** إلى زوال. لذلك لا يمكن أن نُسمِّي الوجود المادي للإنسان وجودًا حقيقيًّا، بل هو وجودٌ مزيَّف له منظر وجمال وحركة، ولكن سرعان ما يذبل المنظر ويذوي الجمال، فتنعدم الحركة وينتهي إلى موت وفساد وزوال. أمَّا القيامة فالوجود فيها جماله لا يذوي، بل يتجلَّى ويتألَّق إلى أفضل، نوره لا ينطفئ لأن نوره مستمدٌّ من نور الله غير المتغيِّر. والحركة في القيامة حركة حرَّة للجسد القائم من بين الأموات، لا يحدُّها مكان ولا تضعفها جاذبية، يتحرَّك تلقائيًّا ليوجد في أيِّ مكان في اللحظة والتوِّ، ولا يعترضه أي حائل مادي حتى ولو كان من الفولاذ، بلا جهد ولا عناء لأن حركته غير مادية، فكما يشاء يكون.

بهذا يتضح للقارئ أن القيامة بالنسبة للإنسان خليقة جديدة لعالمٍ جديد، إمكانياتها هائلة وفوق التصوُّر والوصف. لا توجد فيها العواطف الممسوكة بالجسد الترابي الزائل، ولا تستمدُّ أحاسيسها ومشاعرها من خبرات زمانية، بل عواطف راقية إلى أقصى حدود الرُّقِي. فهي سماوية صرف ومشاعرها هي صدى مشاعر الله وحبه. فإنسان القيامة يوجد ويتحرَّك ويحسُّ ويشاء ويحب في دائرة الوجود الإلهي، والقطب الجاذب لكل مَلَكات الإنسان هو المسيح والروح القدس الذي يقودها نحو الله.

وقيامة المسيح هي التي أعطت الإنسان طبيعة القيامة وقوتها وحقيقتها كخليقة جديدة مرتبطة به وحيَّة به. لذلك أصبحت قيامة المسيح في الإيمان المسيحي هي الباب المفتوح للحياة الأخرى مع الله.

اسمع بولس الرسول يقول في رسالة العبرانيين:

+ «فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ» (عب ١٠: ١٩،٢٠).

أمَّا المسيح فكشف لنا عن سرِّ رحلتنا إلى قلب الله: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ .لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي» (يو ١٤: ٦)، «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥). وأنْ يحيا الإنسان القيامة من الآن، يكون قد نَفَضَ عنه الخوف من الموت ورهبته: «كُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» (يو ١١: ٢٦)، بمعنى أنه لن يسود عليه الموت، بل يصير له الموت واسطة للقيامة، للانتقال إلى فوق. والكنيسة تُشيِّع موتاها من المؤمنين بقولها في الصلاة عليهم: "لأنه ليس موتٌ لعبيدك، بل هو انتقالٌ" (أوشية الراقدين)، لأن الكنيسة تحيا القيامة. فالكنيسة عند المسيح هي جسده المُقام، والمؤمن عضو فيها أي في جسد المسيح المُقام. فأنْ يموت الإنسان المسيحي في إيمان المسيح، فإنه يأخذ حياته الجديدة كعضو في جسد المسيح المقام.

إطلاق الموقع الإلكتروني الجديد لدير القديس أنبا مقار

تم إطلاق الموقع الإلكتروني الجديد لدير القديس العظيم أنبا مقار ببرية شيهيت على العنوان التالي:
www.stmacariusmonastery.org

ويقدم الموقع التاريخ القديم والحديث للدير ووصفًا لأهم معالمه الأثرية مدعمًا بالصور وكذلك سير قديسي الدير. ومن الممكن أيضًا من خلال الموقع قراءة وتحميل مجلة "مرقس"، وحجز الخلوات وكذلك إرسال طلبات للصلاة. الموقع باللغة العربية واللغة الإنجليزية وستتم إضافة لغات أخرى تباعًا.

يأتي الموقع الجديد احتفالًا بمرور عشرين عامًا على إطلاق أول موقع للدير.